الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمَّد لمين دباغين سطيف 2

كلية العلوم الإنسانيَّة والاجتماعية

قسم التَّاريخ والآثار

مطبوعة الدعم البيداغوجي خاصة بمقياس

التَّاريخ السِّياسي للمغرب

موجهة لطلبة السنة الأولى ماستر

تخصص تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إعداد الدكتور: خالد حموم

السنة الجامعيَّة: 1440-1441هـ/2019-2020م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء:

أهدي هذا العمل إلى الوالدين الكريمين، اللهم أطل في عمرهما وأحفظهما من كل سوء

– اللهم اجعل هذا العمل في ميزان حسناتهما –

مقدمة

يعتبر التَّاريخ السِّياسي للمغرب في العصر الإسلامي الوسيط من المواضيع الهامَّة جدًا، فدارس التَّاريخ يجب أن يبدأ ويستفتح دراسته بالتَّاريخ السِّياسي لكي يفهم باقي الجوانب المذهبية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

وأحاول من خلال هذه المطبوعة البيداغوجية الموجهة لطلبة السنة الأولى ماستر تخصص تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، لملمة هذا الموضوع الذي لديه حيز جغرافي كبير، فبلاد المغرب تمتد من الحدود المصرية شرقًا إلى المحيط الأطلسي غربًا ومن البحر المتوسط شمالًا إلى الصحراء الكبرى جنوبًا بالإضافة إلى جزر البحر الأبيض المتوسط كصقلية، ويدرس هذا الموضوع في مدَّة زمنية طويلة تمتد لأكثر من تسعة قرون من سنة 22هـ/643م وهو تاريخ بداية الفتح الإسلامي لبلاد المغرب بقيادة الصحابي الجليل عمرو بن العاص (رضي الله عنه) إلى غاية سقوط الدَّولة الحفصيَّة على يد الأتراك العثمانيِّين سنة 981هـ/1573م.

وتشمل هذه المدَّة من الدِّراسة مواضيع كثيرة وهي الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، عصر الولاة في بلاد المغرب، الدُّول المستقلة عن المشرق والمتمثلة في الدَّولة المدراريَّة، والرستميَّة والإدريسيَّة، كما ندرس دولة الأغالبة التي كانت موالية للخلافة العباسيَّة في المشرق، ثمَّ الدَّولة العُبيديَّة (الفاطميَّة) التي وحدت كامل بلاد المغرب الإسلامي، ثمَّ ندرس الدَّولة الزيريَّة في المغرب الإسلامي، والدَّولة الحمَّاديَّة في المغرب الأوسط، والدَّولة المرابطيَّة في المغرب الإسلامي، ثمَّ

الدَّولة الموحِّديَّة والتي وحدت هي الأخرى كامل بلاد المغرب الإسلامي، وتشمل الدِّراسة أيضًا الدُّول الثلاث التي ظهرت في المغرب بعد سقوط دولة الموحِّدين وهي الدَّولة الحفصيَّة، الزيانيَّة، والمرينيَّة.

ومن المؤكد أنَّ موضوع التَّاريخ السِّياسي للمغرب لا يدرس بمعزل عن باقي أصقاع الأرض مثل دول وممالك أوروبا، ودول بلاد المشرق الإسلامي وخاصةً الأندلس الذي تربطه بدول المغرب الإسلامي علاقة وطيدة وعلاقة تأثير وتأثر كبيرين خاصةً في الجانب السِّياسي.

أمَّا المنهجيَّة التي تناولت بها الموضوع فتمثلت في السرد التَّاريخي للأحداث، وكانت عملية السرد اعتمادًا على المصادر وهو منهج لا يمكن الاستغناء عنه في الكتابات التَّاريخيَّة، وتخلَّل هذا السرد منهج التَّحليل لإظهار ما أمكن إظهاره من الحقائق والجوانب الخفيَّة، وكثفت من الاستشهاد بالنُّصوص في المتن والهامش إمَّا دعمًا لرأي أو مساندةً لاستنتاج ومن أجل تبسيط المعلومات وترسيخ الحقائق.

وفي الأخير أتمنى أن تفيد هذه المحاضرات الطلبة في الإطلاع على التَّاريخ السِّياسي للمغرب، وأن تنال رضاهم.

عنوان المحاضرة: الفتح الإسلامي لبلاد المغرب

– جغرافية بلاد المغرب:

كانت كلمة ليبيا أو لوبيا في التَّاريخ القديم تطلق على شمال إفريقيا عدا مصر، أي المنطقة الممتدة غرب مصر حتَّى بحر الظلمات (المحيط الأطلسي) وقد أطلق عليها هذه التَّسمية المؤرخ الإغريقي هيرودوت وسمى أهلها باسم الليبيِّين تمييزًا لهم عمن جاورهم وراء خط الرمال، وفي الفترة التي سيطر الفينيقيون على هذه البلاد أطلقوا عليها كلمة أفري وعندما جاء الرومان أطلقوا اسم إفريقيا على إقليم تونس وحده ثمَّ عمموه بعد ذلك على القارة كلها وصارت تدعى قارة إفريقيا. كما أطلق الرومان اسم نوميديا على الجزائر حاليًا وما يليها غربًا أطلقوا عليه اسم موريطانيا وهو يشمل المغرب الأقصى وموريتانيا حاليًا. وعندما بدأ المسلمون فتوحاتهم في شمال إفريقيا خالفوا التَّسميات السابقة وأطلقوا على البلاد كلها لفظ المغرب للدلالة على الجزء الغربي من العالم الإسلامي، ثمَّ نعتوا كل إقليم باسم يرجع إلى بعده أو قربه من الشرق، فأطلقوا على إقليم تونس اسم المغرب الأدنى لدنوِّه من الشرق، وسموا إقليم مراكش المغرب الأقصى لبعده عن المشرق، وأطلقوا على إقليم الجزائر اسم المغرب الأوسط لوقوعه بينهما وتوسط بعده عن بلاد

المشرق الإسلامي، ولشدة ارتباط هذه الأقاليم الثلاثة ببعضها لم تكن هذه الحدود والفواصل طبيعية ولا هي قارة بل دومًا في مد وجزر حسب قوة حكومة كل إقليم أو ضعفها[1].

– العناصر السكانيَّة لبلاد المغرب قبل الفتح:

ضمَّ المجتمع المغربي مع بداية الفتوحات الإسلاميَّة ثلاثة عناصر رئيسية هي البربر سواءً البتر أو البرانس، والبيزنطيون وهم على الديانة المسيحيَّة، والأفارقة[2].

وقد أطلق الرومان ثمَّ المؤرخين المسلمين بعدهم تسمية البربر على سكان شمال إفريقيا، وهي كلمة هجينة تعبر عن مرحلة بدائية من التَّنظيم الاجتماعي ولا تعني أبدًا معنى الهمجية أو الوحشية، والتَّسميَّة الصحيحة لهم والتي سمو به أنفسهم هي الأمازيغ. أمَّا الأفارقة الذين كانوا أقليةً كانت بأيديهم التجارة وشؤون المال والوظائف المهمة والكبيرة كان ولائهم غالبًا لمن يسيطر على المنطقة ولبثوا حينًا من الدهر على ولاءهم للبيزنطيِّين وعنهم أخذوا المسيحيَّة

1- المراكشي: **المُعجب في تلخيص أخبار المغرب**، وضع حواشيه خليل عمران المنصور، منشورات محمَّد علي بيضون، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 1419هـ/1998م، ط1، ص248 وما بعدها ؛ محمَّد محمَّد زيتون: **المسلمون في المغرب والأندلس**، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، مصر، 1990م، ص5-6 ؛ يحي بوعزيز: **الموجز في تاريخ الجزائر، الجزائر القديمة والوسيطة**، ديوان المطبوعات الجامعيَّة، الجزائر، 2007م، ج1، ص13 وما بعدها.

2- بسام كامل عبد الرزاق شقدان: **تلمسان في العهد الزياني 633-962هـ/1235-1555م**، رسالة ماجستير في التَّاريخ، جامعة النَّجاح الوطنيَّة كلية الدِّراسات العليا، قسم التَّاريخ، نابلس، فلسطين، 2002م، ص138.

ومظاهر الحضارة الرومانية، وقد دان بعض هؤلاء بالإسلام فيما بعد وتقلد بعضهم مسؤوليات إدارية وسياسية. وبالنَّسبة للتَّوزيع الجغرافي لهذه القبائل عشية الفتوحات الإسلامية فقد تمركزت القبائل البربريَّة في المناطق الداخليَّة لبلاد المغرب بينما سيطر البيزنطيون على السواحل، ولما قدم المسلمون اصطدم الفاتحين بالبربر والبيزنطيِّين معًا، وكانت شدة البيزنطيِّين على المسلمين أكثر من البربر، وقد دخلت أعداد كثيرة منهم في الإسلام تباعًا[1].

– **مراحل الفتح**: يمكن تقسيم مراحل فتح بلاد المغرب إلى ثلاث مراحل وهي:

1- مرحلة الاستكشاف ومحاولة الفتح (22-50هـ)/(643-650م)

2- مرحلة الاستقرار وبناء القيروان (50-55هـ)/(650-675م)

3- مرحلة التوغل واستكمال الفتح (55-92هـ)/(675-711م)

1- موسى لقبال: **المغرب الإسلامي**، الشركة الوطنية للنَّشر والتَّوزيع، الجزائر، 1981م، ط1، ص16 ؛ بسام كامل عبد الرزاق شقدان، **المرجع السَّابق**، ص138.

– فتوحات عمرو بن العاص:

– أسباب الفتح الإسلامي لبلاد المغرب: هناك أسباب عديدة أهمها:

– تأمين الحدود الغربية للدَّولة الإسلاميَّة الحديثة، حيث دعت الضرورة الحربية والي مصر الصحابي الجليل عمرو بن العاص (رضي الله عنه) إلى التوجه بنظره نحو الحدود الغربية لمصر تحديدًا لإقليم برقة لتأمين قاعدة المسلمين الجديدة بمصر الفسطاط من هجمات البيزنطيين[1].

– القضاء على أطماع البيزنطيين في استرجاع مصر من أيدي المسلمين، وهذا باستعمال بلاد المغرب منطلقًا لهجماتهم[2].

– رغبة الفاتحين بقيادة عمرو بن العاص في مواصلة الفتح لنشر الدِّين الإسلامي في بلاد المغرب، ولم يكن إصرار عمرو بن العاص على مواصلة الفتح التماسًا للغنائم التي تعود عليه وعلى جنده من الفتح كما يردد ويزعم المستشرقين ومن يرى رأيهم من المؤرخين[3].

لما فتح عمرو بن العاص مصر سنة 20هـ/641م واتخذ من الفسطاط قاعدة لجيوشه، أرسل البعوث والسرايا والطلائع لاستكشاف بلاد المغرب، وللتعرف على سكانها فأرسل أول

1- موسى لقبال، **المرجع السَّابق**، ص18.

2- عبد الرَّحمان بن محمَّد الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، دار الثقافة، بيروت، 1980م، ط4، ج1، ص121-122.

3- محمَّد محمَّد زيتون، **المرجع السَّابق**، ص8.

بعثة بقيادة عقبة بن نافع الفهري[1] الذي رجع إليه بأخبار مشجعة عن المنطقة وسكانها من قبيلة لواتة البربرية، فاتجه عمرو بن العاص بنفسه على رأس جيش ففتح مدينة برقة صلحًا على أساس قبول أهلها اللواتيِّين دفع جزية مقدارها ثلاثة عشر ألف دينار[2]، كما فتح عقبة بن نافع أيضًا مدينة زويلة صلحًا وكان هذا سنة 22هـ/643م، ثمَّ واصل عمرو الفتح بالقرب من الساحل حيث مواطن قبائل هوارة ونفوسة وفزان وزواغة في سرت، وطرابلس وصبراتة وأحرز فيها النجاح[3].

وعزم عمرو بن العاص على مواصلة الفتح عندما تكتمل عدته ويكثر جنوده، ويستطلع أيضًا رأي الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فكتب إليه يستأذنه في التقدم إلى إفريقية

1- هو ابن خالة عمرو بن العاص (رضي الله عنه) ولد في أوائل الهجرة فاعتبر لذلك صحابي المولد، تولى إمارة جيش المسلمين في المغرب مرتين، المرة الأولى 50هـ-55هـ/670م-675م، والمرة الثَّانية 62هـ-64هـ/682م-684م. (انظر: الرقيق القيرواني: **تاريخ أفريقية والمغرب**، تقديم وتحقيق وتعليق، محمَّد زينهم محمَّد عزب، دار الفرجاني للنَّشر والتَّوزيع، القاهرة، 1994م، ط1، ص41، هامش1 ؛ مجهول: **مفاخر البربر**، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق للطِّباعة والنَّشر، الرباط، 2005، ط1، ص83-84).

2- يذكر ابن عبد الحكم أنَّ عمرو بن العاص خيَّر أهل لواتة بأن يبيعوا من أحبوا من أبنائهم للفاتحين لقاء سداد الجزية المفروضة عليهم. (انظر: **فُتُوح مصر والمغرب**، تحقيق عبد المنعم عامر، شركة الأمل للطِّباعة والنَّشر، مصر، د.ت، ج1، ص229).

3- ابن عبد الحكم، **فُتُوح مصر والمغرب**، ج1، ص230-231 ؛ ابن الأثير: **الكامل في التَّاريخ**، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 1987م، ط1، مج2، ص428-429 .

حيث قال "إنَّ الله قد فتح علينا طرابلس وليس بينها وبين إفريقية إلا تسعة أيام فإن رأى أمير المؤمنين أن يغزوها ويفتحها الله على يديه فعل"، فكتب إليه الخليفة ينهاه عن مواصلة الفتح وقال له "ما هي بإفريقية ولكنها مفرقة غادرة مغدور بها لا يغزوها أحد ما بقيت"[1].

وعن سبب رفض الخليفة عمر مواصلة الفتح يرجع إلى رغبته في التريث حتى تستقر الأمور ولأن ظروف الدَّولة الإسلامية الناشئة لا تسمح بفتح جبهات كثيرة للقتال مع العدوِّ لقلة جيوش المسلمين آنذاك، ولأتساع مساحة بلاد المغرب، وطبيعة بلاد المغرب الجغرافية الصعبة، وطبيعة أهلها الذين يرفضون كل أنواع الاستعباد، بالإضافة إلى محاولة الروم في مصر نقض العهد مع المسلمين[2].

ورغم أنَّ نشاط عمرو في المنطقة لم يشتمل على معارك حاسمة، ولا على سياسة تهدف إلى الاستقرار الفعلي في بلاد المغرب، إلَّا أنَّه لم يغير الشيء الكثير من عقائد السكان ولا من ولاء أغلبهم إلَّا أنَّه قبل عودته إلى مصر ترك عقبة بن نافع في برقة داعيًا ومرشدًا إلى الإسلام، ومتخذًا من برقة قاعدة موالية للمسلمين[3].

1- ابن عبد الحكم، **فُتُوح مصر والمغرب**، ج1، ص232 ؛ ابن عذارى: **البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق ومراجعة ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، 1983م، ط3، ج1، ص8.

2- يحي بوعزيز، **المرجع السَّابق**، ج1، ص84.

3- محمَّد محمَّد زيتون، **المرجع السابق**، ص14.

– فتوحات عبد الله بن سعد بن أبي سرح:

في عهد ولاية عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري على مصر عام 25هـ/646م[1] استأذن الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) أن يزحف على ما وراء البلاد الليبية في اتجاه إفريقية فأذن له، فأرسل ابن أبي سرح الكثير من الطلائع، بلغ تعداد بعضها عشرة آلاف جندي ولكنها لم تقدر على التوغل في إفريقية لكثرة أهلها، وقد تبين للمسلمين من هذه الطلائع معلومات توضح أنَّ هذا الأمر في حاجة إلى استعداد أكثر[2].

وفي سنة 27هـ/648م بعث الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) بجيش كبير من المدينة لفتح بلاد المغرب وقاده من المدينة إلى مصر الحارث بن الحكم وفيه كثير من الصحابة، فتولى قيادة الجيش والي مصر عبد الله بن أبي سرح واتجه به ناحية المغرب الأدنى وانضم إليه

1- المالكي: **رياض النُّفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونسَّاكهم وسِيرٌ من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم**، حقَّقه بشير البكوش، راجعه محمَّد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994م، ط2، ج1، ص14.

2- محمَّد محمَّد زيتون، **المرجع السَّابق**، ص15.

جيش عقبة بن نافع الذي كان معسكرًا في برقة فاتجهت الجموع التي بلغت حوالي عشرون ألف مقاتل كلها لمحاربة الرُّوم البيزنطيِّين[1].

وقد تحاشى ابن أبي سرح في حملته هذه الهجوم على مدينة طرابلس التي نقضت العهد مع المسلمين وتحصن أهلها بها، فاتجه إلى مدينة عقوبة وعسكر بها وهي بالقرب من عاصمة جرجير، سبيطلة وهذا للقضاء على ملكهم في إفريقية، فخيره ابن أبي سرح بين قبول الإسلام أو الجزية وعندما رفض المقترحين التحم المسلمون في معركة حامية الوطيس مع الروم البيزنطيِّين فنالوا منهم وقتلوا قائدهم جرجير، حيث قتله الصحابي الجليل عبد الله بن الزبير، وقتلوا الكثير من جيشه الذي بلغ نحو مئة وعشرون ألف، كما منعوا فلوله من دخول عاصمتهم سبيطلة التي استولى عليها المسلمون[2].

فاضطر من بقي من الجيش البيزنطي عندما رأوا استبسال المسلمين في القتال إلى طلب الموادعة والمسالمة، واقترحوا على ابن أبي سرح دفع جزية سنوية مقدارها ثلاثمائة قنطار من

1- ابن عذارى، **المصدر السَّابق**، ج1، ص8-9 ؛ ابن خلدون: **تاريخ ابن خلدون**، المسمَّى **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت، 2000م، ج4، ص236.

2- ابن عذارى، **المصدر السَّابق**، ج1، ص9 وما بعدها.

الذهب[1] فقبل ابن أبي سرح الصلح وانسحب إلى الفسطاط، بعد أن قضى في هذه الحملة التي كسب فيها المسلمون غنائم وأموال كثيرة أربعة عشر شهرًا[2]، ووصل مصر سنة 28هـ/649م[3].

وبذلك تقلص نفوذ البيزنطيِّين إلى الأطراف الشمالية حيث توجد مدينة قرطاجنة، رغم أنَّ ابن أبي سرح لم يترك واليًا مسلمًا أو حاميةً إسلامية أو يبني قاعدة إسلامية ينطلق منها المسلمون للفتح واكتفى باشتراطه على الروم أن تبقى المناطق التي استولى عليها المسلمون قبل الصلح بأيديهم.

– فتوحات معاوية بن حُديج الكندي:

أسند الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنهما) أمر مواصلة الفتوح في بلاد المغرب إلى معاوية بن حُديج الكندي سنة 40هـ/660م[4]، فغزا إفريقية سنة

1- ابن عذارى، **المصدر السَّابق**، ج1، ص12؛ ابن خلدون، **المصدر السَّابق**، ج4، ص236.

2- المالكي، **المصدر السَّابق**، ج1، ص27 .

3- محمَّد محمَّد زيتون، **المرجع السَّابق**، ص22. (وقد عُرفت هذه المعركة بمعركة سبيطلة أومعركة العبادلة (حملة العبادلة) لمشاركة الكثير من الصحابة الذين تبدأ أسماءهم باسم عبد الله مثل عبد الله بن أبي سرح قائد المعركة وعبد الله بن الزبير بن العوام وعبد الله بن عمرو بن العاص وغيرهم).

4- المالكي، **المصدر السابق**، ج1، ص28.

43هـ/663م وتمكن من فتح بعض المدن وغنم غنائم عظيمة[1]، ثمَّ نظم غزوة أخرى سنة 45هـ/665م حيث زوده الخليفة معاوية بجيش مكون من عشرة آلاف جندي فيه الكثير من الصحابة والتابعين[2]، وقد ساعدت مجموعة من الظروف على مواصلة الفتح منها سخط أهالي إفريقية من الضرائب الإضافية التي كانت تفرض عليهم من قبل الحاكم الجديد الذي ولاه هرقل على إفريقية، وكذلك ظهور صراع بين هذا الأخير وحاكم إفريقية السابق الذي عينه أهلها بعد مقتل جرجير، والذي التجأ إلى الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان لينجده ضدَّ خصمه[3]، فاغتنم قائد المغرب ابن حُديج الفرصة ونزل بجيش في قمونية التي اتخذها معسكرًا للفتح، ثمَّ بعث إلى جلولاء عبد الملك بن مروان في ألف فارس ففتحها وغنموا ما فيها[4]، وتصدى جيش المسلمين وألحقوا الهزيمة بالجيش الذي بعثه صاحب القسطنطينية في البحر المكون من ثلاثين ألف مقاتل قرب قصر الأجم بإفريقية[5].

1- ابن عبد الحكم، **فُتُوح مصر والمغرب**، ج1، ص260.

2- ابن عذارى، **المصدر السابق**، ج1، ص16.

3- محمَّد محمَّد زيتون، **المرجع السابق**، ص23-24.

4- ابن عبد الحكم، **المصدر السابق**، ج1، ص260-261 ؛ ابن عذارى، **المصدر السابق**، ج1، ص16.

5- ابن خلدون، **المصدر السَّابق**، ج4، ص236 ؛ محمَّد محمَّد زيتون، **المرجع السابق**، ص25.

ثمَّ تمكن جيش المسلمين من فتح مدينة سوسة وبنزرت، وغنم غنائم كثيرة وعاد إلى قمونية وعسكر بها[1]، وبذلك بدأت تظهر جليًا فكرة اتخاذ المسلمين لقاعدة ارتكاز تنطلق منها جيوشهم للفتح، وقد تولى تنفيذ الفكرة فيما بعد الفاتح عقبة بن نافع[2].

– فتوحات عقبة بن نافع الفهري (الولاية الأولى) 50–55هـ/670–675م:

لا شك أنَّ اختيار عقبة بن نافع لقيادة الفتح كان موفقًا على اعتبار أنَّه رجل شارك في الفتوحات منذ بداياتها الأولى كما تولى أمر برقة منذ فتحها المسلمون وكان خير داعية للإسلام، فقد عرفته هذه الأرض منذ أكثر من ربع قرن مجاهدًا ومرابطًا وداعيةً[3].

وعلى عكس غيره من قادة الفتح فقد سلك عقبة في فتوحاته طريق الصحراء وتجنب الطريق الساحلي الذي سلكه أغلب قادة الفتح، وأصبح لشهرته يُعرف بالطريق الأعظم عند ابن عبد الحكم والجادة عند البكري، فأذعنت لدعوته قبائل لواتة ومزاتة، واستولى على مدينة غدامس وقفصة وتوزر من بلاد الجريد[4].

1- المالكي، **المصدر السابق**، ج1، ص30.

2- محمَّد محمَّد زيتون، **المرجع السابق**، ص25.

3- محمَّد محمَّد زيتون، **المرجع السابق**، ص26.

4- موسى لقبال، **المغرب الإسلامي**، ص29.

ومن أهم أعماله بناء مدينة القيروان سنة 50هـ/670م[1] لتدعيم حركة الفتح ولاستقرار الجند في قاعدة تنطلق منها العمليات العسكرية، وبدأ في بنائها سنة خمسون للهجرة[2]، وقد بنيت في موضع بين الساحل والداخل لكي يأمن من خطر البيزنطيِّين في الساحل، ويتقي تحركات القبائل البربرية التي لم تُسلم بعد في المناطق الداخلية[3].

وقد بيَّن عقبة لأصحابه أهمية وضرورة بناء مدينة القيروان كي يتخذها المسلمون قاعدةً لهم في قوله "إنَّ إفريقية إذا دخلها إمام أجابوه إلى الإسلام، فإذا خرج منها رجع من كان أجاب منهم لدين الله إلى الكفر، فأرى لكم يا معشر المسلمين أن تتَّخذوا بها مدينة تكون عزًّا للإسلام إلى آخر الدهر"[4].

1- مدينة عظيمة بافريقية، وهي أجلُّ مدينة بأرض المغرب جمعت بين طيب الهواء، وعذوبة الماء وجميع المحاسن، اختطها عقبة بن نافع الفهري سنة 50هـ/670م، وكان فيها من العلماء والفقهاء ما كان في البصرة بالعراق. (انظر: ابن خرداذبة: **المسالك والممالك**، تحقيق محمَّد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1988م، ص81 ؛ الزهري: **كتاب الجغرافية**، تحقيق محمَّد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د.ت، ص109 وما بعدها ؛ الدبَّاغ: **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، أكمله وعلَّق عليه أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن تاجي التنوخي، تصحيح وتعليق إبراهيم شبُّوح، مكتبة الخانجي، مطبعة السنة المحمديَّة، مصر، 1968م، ط1، ج1، ص6 وما بعدها).

2- ابن الأثير، **الكامل في التَّاريخ**، مج3، ص320.

3- موسى لقبال، **المغرب الإسلامي**، ص30.

4- ابن عذارى، **المصدر السَّابق**، ج1، ص19 .

– فتوحات أبو المهاجر دينار:

عندما أوشك عقبة بن نافع على الانتهاء من تأسيس القيروان لكي يواصل الفتح ويزيل سلطان الروم من شمال بلاد المغرب، ثمَّ يسير في نشر الإسلام بين البربر حسب خطته[1]، فوجئ بعزله سنة 55هـ/675م[2]، حيث عزله والي مصر والمغرب الصحابي الجليل مسلمة بن مخلد الأنصاري، وعيَّن مولاه أبو المهاجر دينار[3] واليًا جديدًا على بلاد المغرب[4].

1- محمَّد محمَّد زيتون، **المرجع السَّابق**، ص29 .

2- ابن عذارى، **المصدر السَّابق**، ج1، ص21 ؛ ابن خلدون، **المصدر السَّابق**، ج4، ص237. (غير أنَّ ابن عبد الحكم يقول أنَّ أبا المهاجر دينار تولى أمر بلاد المغرب سنة 51هـ/671م، بينما يرى المالكي أنَّه كان سنة 57هـ/677م، والأرجَّح ما أثبتناه في المتن بالنظر لصيرورة الأحداث التَّاريخيَّة). (انظر: **فُتُوح مصر والمغرب**، ج1، ص265 ؛ **رياض النُّفوس**، ج1، ص33).

3- من التابعين، ولاه مولاه مسلمة بن مخلد الأنصاري إمارة جيش المسلمين بالمغرب، وقد بقي بها مدة سبع سنوات من سنة 55هـ إلى 62هـ/675م-682م، استشهد في معركة ضدَّ الروم، رفقة عقبة بن نافع في منطقة تهودة سنة 62هـ/682م. (انظر: المالكي، **رياض النُّفوس**، ج1، ص31 وما بعدها ؛ ابن الأثير، **الكامل في التَّاريخ**، مج3، ص450 وما بعدها).

4- المالكي، **المصدر السَّابق**، ج1، ص31 ؛ ابن خلدون، **المصدر السَّابق**، ج4، ص237 .

وقد أساء أبو المهاجر عزل عقبة حيث قام بسجنه وبالغ في إيذائه معنويًا حسب ما يذكر ابن عبد الحكم وابن عذارى[1]، وهجر مدينة القيروان وأخلاها من سكانها، وبنا مدينة جديدة تبعد عنها بميلين وردت بأسماء مختلفة تاكيروان، تاكرونة، تكرور، دكرور وغيرها[2]، وقد شيَّدها وسط بلاد البربر يقال في جبل وسلات مسكن قبيلة مزاتة البربرية، وبالتعاون مع البربر عمَّر مبانيها وجدَّ في تشيِّيدها[3].

كما جاء هذا الوالي بسياسة جديدة، حيث قام باستمالة البربر عن طريق المعاملة الحسنة، وصالح زعيم قبيلة أوربة البرنسيَّة كسيلة بن لمزم، وأحسن إليه وأقنعه للدخول في الإسلام، مع جموع كثيرة من البربر[4]، فسهَّل له بذلك مواصلة الفتح الإسلامي بالمغرب الأدنى والدخول إلى أرض المغرب الأوسط.

1- **فُتُوح مصر والمغرب**، ج1، ص265-266 ؛ **البيان المغرب**، ج1، ص22.

2- ابن عذارى، **المصدر السَّابق**، ج1، ص22 ؛ المالكي، **المصدر السَّابق**، ج1، ص31-32 ؛ موسى لقبال، **المرجع السَّابق**، ص35-36.

3- موسى لقبال، **المرجع السَّابق**، ص36.

4- المالكي، **المصدر السَّابق**، ج1، ص33 ؛ الدبَّاغ، **المصدر السَّابق**، ج1، ص46 ؛ ابن خلدون، **المصدر السَّابق**، ج4، ص237.

ويعتبر أبو المهاجر دينار أوَّل والي لبلاد المغرب وطئت خيله أرض المغرب الأوسط[1]، فبعد بناءه لمدينته الجديدة تاكيروان في حدود سنة 55هـ/675م والتي اتخذها عاصمةً جديدة لبلاد المغرب بدلًا عن قيروان عقبة[2]، واستمالته للبربر ضدَّ الروم البيزنطيِّين[3]، انطلقت جيوشه منها صوب المغرب الأوسط لمحاولة فتحه.

وتذكر المصادر التَّاريخيَّة حملته على المغرب الأوسط باختصار شديد[4]، حيث يذكر كل من المالكي والدبَّاغ بأنَّه خرج بجيوشه ناحية المغرب الأوسط وفتح كلَّ ما مر به، حتَّى انتهى إلى العيون التي تُسمَّى اليوم عيون أبي المهاجر نحو مدينة تلمسان[5].

1- السيد عبد العزيز سالم: **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**، مؤسَّسة شباب الجامعة، الإسكندريَّة، 2008م، ص130.

2- يذكر ابن عبد الحكم وابن عذارى أنَّ أبا المهاجر كره أن ينزل بمدينة عقبة القيروان، فاختط مدينة جديدة بدلًا عنها واستقر بها. (انظر: **فُتُوح مصر والمغرب**، ج1، ص266 ؛ **البيان المُغرب** ج1، ص22).

3- استطاع أبو المهاجر تحطيم الحلف الذي كان بين الروم وقبيلة أوربة البربريَّة، بفضل معاملته الحسنة للبربر وزعيمهم كسيلة بن لمزم، فدخلت أعداد كثيرة من بربر المغرب الأوسط في الإسلام وانضمت إلى جيش الفتح. (انظر: السلاوي، أحمد بن خالد النَّاصري: **الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى**، تحقيق وتعليق جعفر النَّاصري، محمَّد النَّاصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954م، ج1، ص37 ؛ السيد عبد العزيز سالم، **المرجع السَّابق**، ص130).

4- تمرُّ المصادر التَّاريخيَّة مرًا سريعًا على ولاية أبي المهاجر، إمَّا لأنَّها وقعت بين ولايتي عقبة بن نافع الأولى والثَّانيَّة، أو بسبب استياء الرواة من تصرفات أبي المهاجر وإساءته لعقبة. (انظر: السيد عبد العزيز سالم، **المرجع السَّابق**، ص129).

5- **رياض النُّفوس**، ج1، ص33 ؛ **معالم الإيمان**، ج1، ص46.

والمؤكد أنَّ جيش أبا المهاجر خلال حملته هذه، مرَّ بالمناطق الداخليَّة للمغرب الأوسط، ولم يكن مروره من جهة الساحل لأنَّ الروم كانوا يملكون سواحل بلاد المغرب، فيجب على أبا المهاجر أن يقوم بتجنب الدخول في مواجهة البربر والروم معًا.

وقد مرَّ على مدينة بسكرة ونواحيها، وحارب بعض الولاة ورؤساء القبائل في جهات قسنطينة وانتصر عليهم وذلك عام 59هـ/679م، واتخذ مدينة ميلة مركزًا لعملياته الحربيَّة[1] وابتنى بها دار الإمارة وجعلها ملاصقة للجامع، ومكث بها سنتين[2]، ثمَّ عاد إلى المغرب الأدنى سنة 61هـ/680م واستقرَّ بعاصمته الجديدة تاكيروان عامًا واحدً حتَّى عزل[3].

ونشير إلى أنَّ أبا المهاجر توغل في بلاد المغرب الأوسط ووصل حتَّى تلمسان إلى أنَّ فتح هذه البلاد لم يكن فتحًا مؤزرًا وحقيقيًا رغم مكوثه حوالي عامين بمدينة ميلة، لأنَّ جيوشه عادت إلى المغرب الأدنى ولم تستقر في المغرب الأوسط لتدعيم عملية الفتح لدى قبائل البربر جميعًا.

1- عبد الرَّحمان بن محمَّد الجيلالي، **المرجع السَّابق**، ج1، ص127 ؛ يحي بوعزيز، **المرجع السَّابق**، ج1، ص86.

2- عبد الرَّحمان بن محمَّد الجيلالي، **المرجع السَّابق**، ج1، ص127-128.

3- السيد عبد العزيز سالم، **المرجع السَّابق**، ص130.

– فتوحات عقبة بن نافع (الولاية الثَّانيَّة) 62–64هـ/682–684م:

عندما تولى يزيد بن معاوية خلافة المسلمين، واستتب له الأمر باستقرار أوضاع الخلافة الأمويَّة بالمشرق ولو نسبيًا، فكر في بعث الفتوحات الإسلاميَّة في بلاد المغرب من جديد، فقام بعزل أبي المهاجر دينار وإعادة عقبة بن نافع لولاية المغرب وهذا في سنة 62هـ/682م[1].

فسارع عقبة بعد تعيِّينه هذا إلى إعادة بناء القيروان ونقل النَّاس إليها، كما قام بتوثيق أبي المهاجر دينار بالحديد[2]، ثمَّ تجهز لمحاربة الروم ومواصلة الفتوحات الإسلاميَّة في بلاد المغرب، وقام بتجهيز حملة كبيرة ناحية المغرب الأوسط.

وانطلق في حملته هذه من قاعدة الفتح القيروان، بعد أن استخلف عليها زُهير بن قيس البلوي[3]، بجيش قوامه خمسة عشر ألف جندي[4]، لفتح بلاد المغرب الأوسط ومقاومة الرُّوم

1- المالكي، **المصدر السَّابق**، ج1، ص33–34 ؛ ابن الأثير، **المصدر السَّابق**، مج3، ص450 ؛ ابن خلدون، **المصدر السَّابق**، ج4، ص237.

2- ابن عبد الحكم، **المصدر السَّابق**، ج1، ص267 ؛ المالكي، **المصدر السَّابق**، ج1، ص34.

3- ابن الأثير، **المصدر السَّابق**، مج3، ص450 ؛ ابن عذارى، **المصدر السَّابق**، ج1، ص23. (غير أنَّ ابن عبد الحكم والمالكي والدبَّاغ يذكران أنَّ عقبة استخلف بالقيروان مع زهير بن قيس البلوي، عمر بن علي القرشي) . (انظر: **فُتُوح مصر والمغرب**، ج1، ص267 ؛ **رياض النُّفوس**، ج1، ص34 ؛ **معالم الإيمان**، ج1، ص47–48).

4- عبد الرَّحمان بن محمَّد الجيلالي، **المرجع السَّابق**، ج1، ص128.

البيزنطيِّين. فدخل بجيشه هذا إلى المغرب الأوسط والروم يهربون من طريقه يمينًا وشمالًا، إلى أن وصل إلى مدينة باغاية[1] شرق جبل الأوراس قرب مدينة خنشلة، ففتحها بعد أن حاصرها وقاتل الروم المتواجدين بها قتالًا شديدًا[2]، وغنم منهم خيلًا كثيرًا لم يرَّ المسلمون أصلب منها ولا أسرع فهي نتاج جبل أوراس المطل عليها[3].

ومنها توجه إلى مدينة لمبيس (لمبيز) ففتحها بعد قتال عنيف مع الروم وأصاب بها غنائم كثيرة[4]، ثمَّ ارتحل إلى بلاد الزاب بالتَّحديد إلى مدينة أذنة التي كان حولها ثلاثمائة قرية كلها عامرة، فلمَّا بلغ أهلها أنَّ عقبة قادمًا إليهم لجئوا إلى حصنهم، وهرب أغلبهم إلى الجبال والأماكن الوعرة، ونزل عقبة على وادٍ يبعد عن المدينة ثلاثة أميال، ولمَّا تجهز الروم في المساء

1- مدينة كبيرة عليها سوران من حجر، بها أسواق، ولها واد يجري إليها من جهة القِبلة، وأكثر غلاتها الحنطة والشعير، منها إلى قسنطينة ثلاث مراحل، ومنها إلى مدينتي طبنة وقسطيلية أربع مراحل. وحاليًا المدينة تدعى باغاي وهي بلدية تابعة لولاية خنشلة وتقع في الشمال منها. (انظر: الإدريسي: **القارَّة الإفريقيَّة وجزيرة الأندلس، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**، تحقيق وتقديم وتعليق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعيَّة، الجزائر، 1983م، ص177-178).

2- المالكي، **المصدر السَّابق**، ج1، ص34 ؛ ابن الأثير، **المصدر السَّابق**، مج3، ص451 ؛ الدبَّاغ، **المصدر السَّابق**، ج1، ص48.

3- الرقيق القيرواني، **المصدر السَّابق**، ص42 ؛ ابن عذارى، **المصدر السَّابق**، ج1، ص24 ؛ عبد الرَّحمان الجيلالي، **المرجع السَّابق**، ج1، ص128.

4- عبد الرَّحمان بن محمَّد الجيلالي، **المرجع السَّابق**، ج1، ص128 ؛ يحي بوعزيز، **المرجع السَّابق**، ج1، ص87.

نزلوا بدورهم بجيش ضخم أسفل الوادي، ولكن لم يحدث القتال بين الفريقين في الليل، وسهر الجيشين في تلك الليلة خوفًا من مباغتة أحدهم للأخر، فسمي ذلك الوادي "وادي سهر"، وعندما صلى عقبة الصبح أمر المسلمين بقتالهم، فحدثت معركة ضارية بينهما، انتهت بانتصار المسلمين والقضاء على الروم في بلاد الزاب[1].

ثمَّ ارتحل عقبة وجيشه إلى الجهة الغربيَّة للمغرب الأوسط، ونزل بمدينة تيهرت وقاتل فيها الروم والبربر معًا، وانتصر عليهم، ثمَّ واصل طريقه ناحية تلمسان ففتحها[2]، ومنها اتجه إلى المغرب الأقصى فوصل طنجة، ثمَّ قاتل البربر في السوس الأدنى والأقصى[3].

وفي طريق عودته من المغرب الأقصى استشهد عقبة بن نافع وجنده وأبي المهاجر دينار سنة 64هـ/684م في منطقة تهودة بالقرب من بسكرة بالمغرب الأوسط[4].

1- الرقيق القيرواني، **المصدر السَّابق**، ص42-43 ؛ المالكي، **المصدر السَّابق**، ج1، ص36-37 ؛ ابن الأثير، **المصدر السَّابق**، مج3، ص451 ؛ الدبَّاغ، **المصدر السَّابق**، ج1، ص49.

2- عبد الرَّحمان بن محمَّد الجيلالي، **المرجع السَّابق**، ج1، ص129 ؛ يحي بوعزيز، **المرجع السَّابق**، ج1، ص87.

3- ابن الأثير، **المصدر السَّابق**، مج3، ص451 ؛ ابن عذارى، **المصدر السَّابق**، ج1، ص25 وما بعدها ؛ ابن خلدون، **المصدر السَّابق**، ج4، ص237.

4- عن كيفية استشهاد عقبة وجنده. (انظر: المالكي، **المصدر السَّابق**، ج1، ص39 وما بعدها ؛ ابن الأثير، **المصدر السَّابق**، مج3، ص451-452 ؛ ابن عذارى، **المصدر السَّابق**، ج1، ص28 وما بعدها).

– فتوحات زهير بن قيس البلوي:

استخلفه عقبة بن نافع على القيروان لمَّا خرج في حملته الكبرى على بلاد المغرب، ولكنه تراجع إلى برقة عندما استولى كسيلة على القيروان مرابطًا بها، ولمَّا تولى عبد الملك بن مروان الخلافة عيَّنه قائدًا لجيوش المسلمين في بلاد المغرب في حدود سنة 67هـ/686م[1]، فجهز زهير جيش كبير قدره ستة آلاف جندي[2]، وتوجه لقتال كسيلة في القيروان، ولكن هذا الأخير عسكر في مدينة ممس جنوب القيروان، والتقى الجمعان هناك ودار قتال شديد بينهما، فانهزم في آخر المطاف كسيلة وقتل في المعركة، فانصرف زهير إلى القيروان فأقام بها مدة يسيرة[3].

وبعدما آمن النَّاس في القيروان ترك عسكرًا كثيرًا من أصحابه فيها، ورحل في جمع آخر قاصدًا مدينة برقة ليخلص أسرى المسلمين من أيدي الروم الذين أغاروا على برقة في حملة بحرية خرجت من صقلية مستغلين غياب زهير وجيشه الذي كان يقاتل كسيلة في القيروان، ولمَّا وصل

1- الرقيق القيرواني، **المصدر السَّابق**، ص44 ؛ ابن خلدون، **المصدر السَّابق**، ج4، ص238.

2- يذكر المالكي أنَّ جيش زهير يضم ألفين من البربر وأربعة آلاف من العرب. (انظر: **رياض النُّفوس**، ج1، ص45).

3- المالكي، **المصدر السَّابق**، ج1، ص45 .

برقة باشر القتال واشتد الأمر وعظم الخطب فتكاثر الروم عليه فقتلوا زهيرًا ومن معه في ساحل درنة ولم ينج منهم أحد، وعاد الروم بما غنموا إلى القسطنطينية[1].

– فتوحات حسَّان بن النُّعمان الغساني:

تولى حسَّان بن النُّعمان قيادة جيش المسلمين في بلاد المغرب بعهد من الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان في حدود سنة 73هـ/692م، ويختلف المؤرخون كثيرًا في تاريخ تعيِّينه هذا[2]، كما يختلفون في تاريخ بداية حملته العسكريَّة ضدَّ الروم بقرطاجنة والكاهنة[3] بمنطقة

1- الرقيق القيرواني، **المصدر السَّابق**، ص44-46.

2- اختلف المؤرخون في تاريخ تعيِّين حسان بن النعمان واليًا على بلاد المغرب، حيث يرى المالكي أنَّه كان سنة 69هـ/688م، بينما يرى ابن عبد الحكم أنَّه كان سنة 73هـ/692م، في حين يرى ابن الأثير أنَّه كان سنة 74هـ/693م، ويذكر ابن عذارى أنَّه كان سنة 78هـ/697م. والأرجح هو رأي ابن عبد الحكم، لأنَّ التَّاريخ الذي يذكره المالكي مستبعد كون الأوضاع في بلاد المشرق كانت آنذاك مضطربة جدًا، حيث استفحل أمر الخوارج، وكذلك ثورة عبد الله بن الزبير، فبعد قضاء الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان على ثورة ابن الزبير في حدود سنة 73هـ/692م واستتب له الأمر، بعث حسان لمواصلة الفتح في بلاد المغرب في نفس السنة. (انظر: **فُتوح مصر والمغرب**، ج1، ص269 ؛ **رياض النُّفوس**، ج1، ص48 ؛ **الكامل في التَّاريخ**، مج4، ص135 ؛ **البيان المغرب**، ج1، ص34).

3- هي زعيمة البربر في الأوراس، تدعى ديهيا بنت ماتيه بن تيفان وهي من قبيلة جراوة البترية، كانت تقيم بعاصمتها باغاية، وكانت تخبر قومها بأشياء من الغيب لهذا سميت الكاهنة، وكان جميع من بإفريقية من الروم منها خائفون، وجميع البربر لها مطيعون. (انظر: الرقيق القيرواني، **المصدر السَّابق**، ص46؛ ابن الأثير: **الكامل في التَّاريخ**، راجعه وصحَّحه محمَّد يوسف الدقاق، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 1987م، ط1، مج4، ص135 ؛ ابن عذارى، **المصدر السَّابق**، ج1، ص35 ؛ السيد عبد العزيز سالم، **المرجع السَّابق**، ص158).

الأوراس في المغرب الأوسط، والأرجح أنَّه بدأ يحارب الروم بقرطاجنة سنة 76هـ/695م[1] حيث قدم إليهم بجيش ضخم قوامه أربعين ألف جندي[2]، فتمكن من القضاء عليهم وتبديد شملهم، وتخريب مدينتهم، ففروا ناحية مدينة باجة، وفرَّ بربر تلك المنطقة إلى ناحية بونة[3].

وفيما يخص مقاومته لزعيمة البربر بعد كسيلة، الكاهنة رئيسة قبيلة جراوة بناحية الأوراس بالمغرب الأوسط، فقد كان في نفس السنة، حيث عاد حسَّان بجيشه إلى القيروان بعد هزيمته للروم بقرطاجنة، لإعادة تنظيم صفوفه، ولمَّا جهز جيشه من جديد قال لأهل القيروان "دلوني على أعظم من بقي من ملوك إفريقيَّة"، فدلوه على امرأة من البربر تدعى الكاهنة[4]، فتجهز لحربها بجيش جرار، وكانت أوَّل حملة عسكرية لحسَّان على بلاد المغرب الأوسط.

1- عبد الرَّحمان بن محمَّد الجيلالي، **المرجع السَّابق**، ج1، ص134 ؛ صالح بن قربة وآخرون: **تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر**، منشورات المركز الوطني للدِّراسات والبحث في الحركة الوطنيَّة وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2007م، ص25-26.

2- ابن عذارى، **المصدر السَّابق**، ج1، ص34. (ويذكر ابن الأثير أنَّه لم يدخل افريقيَّة قط جيش مثله). (انظر: **الكامل في التَّاريخ**، مج4، ص135).

3- ابن الأثير، **المصدر السَّابق**، مج4، ص135.

4- المالكي، **المصدر السَّابق**، ج1، ص49-50 ؛ ابن الأثير، **المصدر السَّابق**، مج4، ص135 ؛ ابن عذارى، **المصدر السَّابق**، ج1، ص35.

ولمَّا سمعت الكاهنة بمقدمه جمعت جيش ضخم وعسكرت بمدينة باغاية، وأخرجت منها الروم ثمَّ هدمتها، ضنًا منها أنَّه يريد التَّحصن بها[1]، أمَّا حسَّان فقد أكمل طريقه إلى المغرب الأوسط وعسكر بوادي مسكيانة[2]، فقيل له أنَّ الكاهنة قد أقبلت في عدد لا يحصيه إلَّا الله تعالى، فقال "دلوني على ماء يسع العسكر الذي أنا فيه[3]"، فدلوه على نهر أو واد نيني[4]، فزحفت إليه الكاهنة بجيوشها حتَّى أتت أسفل النهر، وحسَّان كان في أعلاه، وفي صباح الغد حدثت معركة مهولة بين الجيشين، حيث عظم البلاء وظنَّ المسلمون أنَّه الفناء، وانهزم حسَّان وجنده، في ضفاف هذا النهر الذي أصبح يدعى بنهر البلاء[5]، كما سُمي وادي العَذَارَى[6]، وانسحب ناحية القيروان وطاردته الكاهنة حتَّى خرج من مدينة قابس بالمغرب

1- المالكي، **المصدر السَّابق**، ج1، ص50.

2- مسكيانة هي قرية عامرة قديمة، قريبة من مدينة باغاية، بها زروع ومساكن وعيون، ولها سوق ممتدة كالسماط، وهي أكبر من مدينة مرماجنة القريبة منها. واليوم هي دائرة تابعة لولاية أم البواقي، تقع في أقصى الجنوب الشرقي منها. (انظر: الإدريسي، **القارَّة الإفريقيَّة وجزيرة الأندلس**، ص195).

3- المالكي، **المصدر السَّابق**، ج1، ص50.

4- ابن الأثير، **المصدر السَّابق**، مج4، ص136. (ويذكر الرقيق القيرواني أنَّ هذا النهر يسمى بلسان البربر "بلى"). (انظر: **تاريخ أفريقية والمغرب**، ص46-47). (وتوجد اليوم في جنوب شرق ولاية أم البواقي بلدية تدعى واد نيني، وهي قريبة من دائرة مسكيانة).

5- ابن عبد الحكم، **المصدر السَّابق**، ج1، ص270 ؛ المالكي، **المصدر السَّابق**، ج1، ص51.

6- الرقيق القيرواني، **المصدر السَّابق**، ص47 ؛ ابن عذارى، **المصدر السَّابق**، ج1، ص36.

الأدنى، فالتجأ حسَّان إلى برقة، وبقي بها خمس سنين[1] ينتظر المدَّد من الخلافة الأمويَّة بالمشرق، وخلالها بنا قصورًا سميت بقصور حسَّان[2].

وقد أسِرت الكاهنة في هذه المعركة ثمانين رجلًا من المسلمين، أطلقت سراحهم جميعًا ما عدا خالد بن يزيد العبسي[3] الذي اتخذته والدًا لها. وملكت بذلك الكاهنة بلاد المغرب مدَّة خمس سنين، وقد ارتكبت خلال هذه المدَّة خطأً كبيرًا، حيث قامت بتحطيم وتخريب بلاد المغرب، ظنًا منها أنَّ المسلمين قدموا للاستيلاء على خيرات هذه البلاد، ويذكر ابن عذارى أنَّها قالت للبربر: "إنَّ العرب (يُقصد هنا المسلمين ككل) إنَّما يطلبون من إفريقيَّة المدائن والذهب والفضَّة، ونحن إنَّما نريد منها المزارع والمراعي، فلا نرى لكم إلَّا خراب بلاد إفريقية كلها، حتَّى

1- الرقيق القيرواني، **المصدر السَّابق**، ص47 ؛ ابن عذارى، **المصدر السَّابق**، ج1، ص36 ؛ ابن الأثير، **المصدر السَّابق**، مج4، ص136. (غير أنَّ المالكي يقول أنَّ حسَّان عسكر بناحية برقة ينتظر المدد مدَّة ثلاث سنين فقط، والأرجَّح ما أثبتناه في المتن). (انظر: **رياض النُّفوس**، ج1، ص51).

2- ابن الأثير، **المصدر السَّابق**، مج4، ص136 ؛ السَّلاوي، **المرجع السَّابق**، ج1، ص43.

3- اختلف المؤرخون في نسبه بين العبسي والقيسي، وبين اسمه واسم أبيه فهل هو خالد بن يزيد أو يزيد بن خالد. أعجبت الكاهنة بجماله وشجعاته، فتبنته والدًا لها، حيث عمدت إلى دقيق الشعير فلتَّته بزيت، وجعلته على ثديها ودعت ولديها وقالت كلا معه على ثديَّ ففعلا، فقالت قد صرتم إخوة. (انظر: ابن عبد الحكم، **المصدر السَّابق**، ج1، ص270 ؛ الرقيق القيرواني، **المصدر السَّابق**، ص47 ؛ المالكي، **المصدر السَّابق**، ج1، ص51 ؛ ابن الأثير، **المصدر السَّابق**، مج4، ص136 ؛ ابن عذارى، **المصدر السَّابق**، ج1، ص37 ؛ ابن خلدون، **المصدر السَّابق**، ج4، ص239).

ييئس منها العرب، فلا يكون لهم رجوع إليها إلى آخر الدَّهر"[1]. فتضرَّر البربر من سياستها هذه، وسخطوا عليها، وبدأو في تغيِّير ولائهم لحسَّان والتَّخلي عن نصرتها، ويذكر الرقيق القيرواني أنَّه لجأ أهل مدن قفصة وقسطيلية ونفزاوة وحوالي ثلاثمائة رجل من النَّصارى يستغيثون إليه من الكاهنة فيما نزل بهم من خراب[2]، كما يذكر ابن عذارى أنَّه خرج يومئذٍ من المغرب خلق كثير من النَّصارى والأفارقة، مستغيثين ممَّا نزل بهم من الكاهنة، فتفرقوا على الأندلس وسائر جزر البحر الرومي[3].

وفي تلك الأثناء كان حسَّان مرابطًا بمدينة برقة، ويعد العدة للزحف على المغرب الأوسط من جديد والقضاء على الكاهنة، وقد عمد إلى إرسال رجل يثق به إلى خالد بن يزيد العبسي أسير الكاهنة، لكي يتقصى له أمرها وأحوال بلادها ورعيتها، وقد تمكن من الحصول على معلومات مهمَّة تتمثل بالخصوص في سخط الرعية من سياستها التي أثقلت كاهلهم[4].

1- **البيان المغرب**، ج1، ص36.

2- **تاريخ أفريقية والمغرب**، ص48-49.

3- **البيان المغرب**، ج1، ص36-37.

4- عن كيفية نقل خالد بن يزيد العبسي، المعلومات العسكريَّة حول الكاهنة وقومها إلى حسَّان. (انظر: ابن عبد الحكم، **المصدر السَّابق**، ج1، ص270 ؛ المالكي، **المصدر السَّابق**، ج1، ص51-52؛ ابن الأثير، **المصدر السَّابق**، مج4، ص136؛ ابن عذارى، **المصدر السَّابق**، ج1، ص37).

ولمَّا وصله المدد من المشرق في حدود سنة 81هـ/700م وأصبحت الظروف كلها في صالحه وضدَّ الكاهنة[1]، انطلق في حملة ثانية على المغرب الأوسط بجيش جرار مصمِّمًا على القضاء عليها وعندما علمت الكاهنة بمقدمه رحلت من جبل أوراس في خلق عظيم، وأوصت خالد بن يزيد العبسي أن يستأمن لولديها عند حسَّان وأن يُقبلا عليه، وتنبأت بمقتلها، ولكن قررت المقاومة حتَّى الموت[2].

ويذكر المالكي أنَّ الجمعان التقيا ناحية قابس، فانهزمت الكاهنة، وفرت مع من بقي من جندها إلى قلعة بُسْر لكي تتحصن بها ولكنها وجدتها مخربة، فانتقلت ناحية جبال الأوراس ومعها صنم عظيم من خشب كانت تعبده، يحمل بين يديها على جمل، ولحقها جند حسان، فاقتتلا الجمعان وانهزمت الكاهنة وقتلت عند بئر سماها المسلمون "بئر الكاهنة"[3].

أمَّا البربر فقد طلبوا الأمان من حسَّان، فأمنهم واشترط عليهم أن يعطوه من جميع قبائلهم اثنا عشر ألف فارس يكونون مع المسلمين مجاهدين، فأجابوه وأسلموا، فعقد لولدي الكاهنة بعد إسلامهما لكل واحد منهما على ستة آلاف فارس من البربر، وانضموا

1- يحي بوعزيز، **المرجع السَّابق**، ج1، ص90.

2- ابن الأثير، **المصدر السَّابق**، مج4، ص136 ؛ ابن عذارى، **المصدر السَّابق**، ج1، ص37-38.

3- **رياض النُّفوس**، ج1، ص54 وما بعدها.

للمجاهدين لاستكمال فتح بلاد المغرب، فانصرف حسَّان إلى القيروان بعدما تأكد من أنَّ البربر بناحية الأوراس حسن إسلامهم وذلك في شهر رمضان سنة 82هـ/أكتوبر 701م[1].

تمثل نهاية مقاومة الكاهنة بمنطقة الأوراس في المغرب الأوسط، منعرجًا حاسمًا في عملية الفتح الإسلامي للمغرب الأوسط، فقد دخلت هذه المنطقة بأسرها في الإسلام، حتَّى أصبح أكثر جيش حسَّان من البربر، وقد عمد هذا الأخير بعد أن استقامت له بلاد المغربين الأدنى والأوسط إلى تدوين الدواوين، وتنظيم الخراج، ووضع النظم الإداريَّة[2].

– فتوحات موسى بن نصير:

تولى موسى بن نصير ولاية المغرب في حدود سنة 83هـ/702م[3] بعهد من والي مصر عبد العزيز بن مروان الذي قام بعزل حسان بن النعمان قيل لثأر شخصي بينهما، فقدم موسى

1- ابن عذارى، **المصدر السَّابق**، ج1، ص38.

2- المالكي، **المصدر السَّابق**، ج1، ص56 ؛ السيد عبد العزيز سالم، **المرجع السَّابق**، ص164.

3- اختلف المؤرخون في تحديد سنة تعيِّين موسى بن نصير، قال ابن عبد الحكم سنة 79هـ/698م، وقال ابن الأثير سنة 89هـ/708م وفي موضع آخر قال 78هـ/697م، أمَّا الرقيق القيرواني وابن خلدون لم يذكرا التاريخ بدقة وقالا أنَّ تعيِّينه كان في بداية خلافة الوليد بن عبد الملك، بينما يرى ابن عذارى أنَّ تعيِّينه كان سنة 83هـ/702م في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، ولمَّا تولى الوليد بن عبد الملك الخلافة سنة 86هـ/705م أقرَّه في منصبه، وهو الأرجَّح حسب اعتقادي بالنظر إلى سيرورة الأحداث التَّاريخيَّة. (انظر: **فُتُوح مصر والمغرب**، ج1، ص274 ؛ **الكامل في التَّاريخ**، مج4، ص252 ؛ **تاريخ أفريقية والمغرب**، ص51 ؛ **العِبر**، ج4، ص239 ؛ **البيان المغرب**، ج1، ص39 وما بعدها).

إلى إفريقية فخطب في الجنود الذين استغربوا لعزل قائدهم حسان الذي يكنون له التقدير والاحترام فبرر في خطبته سبب العزل حيث قال بأنَّه بسبب كفره بالنعمة وتطاوله على أولي الأمر والنهي وأمر موسى بصرف رواتب الجند ثلاث أضعاف ممَّا كانت عليه في عهد حسان لكي يستميلهم نحوه ويتناسوا ما حدث من عزل، وافتتح عهده بإفريقية بعزل نائب حسان ومساعديه وتغريمهم وتصفيدهم في الحديد وترحيلهم إلى المشرق[1].

وفيما يخص فتوحاته في المغرب فقد فتح أولًا قلعة زغوان ونواحيها، ثمَّ أكمل فتوحه وتوجه غربًا إلى المغرب الأوسط وشمل نشاطه قبائل هوارة وزناتة وكتامة وصنهاجة، ثمَّ اتجه إلى المغرب الأقصى وأخضع قبيلة أوربة، ثمَّ عاد إلى القيروان للاستعداد من جديد، فنضم جيشه وتوجه إلى المغرب الأقصى في حملة أخرى فأخضع السوس الأقصى، والمصامدة في جبال درن، كما فتح السوس الأدنى وعيَّن واليًا عليها، ثمَّ فتح طنجة وولى عليها طارق بن زياد[2]، ولم تبق غير مدينة سبتة التي استعصت على المسلمين لحصانتها الطبيعية والصناعية ومساعدة ملوك القوط لحاكمها يوليان[3].

1- عن ظروف عزل الوالي حسان بن النعمان وتعيِّين موسى بن نصير واليًا جديدًا على بلاد المغرب. (انظر: موسى لقبال، **المرجع السَّابق**، ص81 وما بعدها).

2- ابن عذارى، **المصدر السَّابق**، ج1، ص40 وما بعدها ؛ ابن خلدون، **المصدر السَّابق**، ج4، ص239.

3- موسى لقبال، **المرجع السَّابق**، ص89.

وباستيلاء المسلمين على طنجة قاعدة المغرب الأقصى وتحويلها إلى رباط عسكري بقيادة طارق بن زياد يكتمل فتح المغرب الأقصى ويعود موسى بن نصير إلى القيروان.

عنوان المحاضرة: عصر الولاة في بلاد المغرب الإسلامي

– مفهوم عصر الولاة:

يطلق مصطلح عصر الولاة في بلاد المغرب الإسلامي من فترة عزل الوالي موسى بن نصير ورجوعه إلى المشرق سنة 95هـ/714م حتى قيام الدُّول المستقلة عن الخلافة في المشرق، وقد استقلت أقطار بلاد المغرب الإسلامي تبعًا، حيث ظهرت الدَّولة المدراريَّة في سجلماسة سنة 155هـ/772م، والدولة الرستميَّة في تيهرت سنة 160هـ/777م، والدَّولة الإدريسيَّة في فاس سنة 172هـ/788م، وأخيرًا دولة الأغالبة بالقيروان سنة 184هـ/800م[1].

1- حسين مؤنس: **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، دار الرشاد، مصر، 2004م، ص65.

– مميزات عصر الولاة في بلاد المغرب:

اتسم عصر الولاة بالمغرب بأربعة مظاهر كبرى وهي:

1- تفشي الروح العصبية والعنصرية القبلية بين القبائل العربية (الصراع التاريخي الذي حدث في المشرق انتقل إلى المغرب بين العرب القيسية والكلبية)[1].

2- السياسة الإدارية السيئة لبعض الولاة الأمويِّين والعباسيِّين في بلاد المغرب، وقد تجلت هذه السياسة أكثر في عهد الواليين يزيد بن أبي مسلم الثقفي وعبيد الله بن الحبحاب السلولي.

3- انتشار المذهب الخارجي الصُفري والإباضي بين القبائل المغربية.

4- اندلاع الثورات المغربية ضدَّ ولاة السلطة المركزية الذين حكم بعضهم بالظلم والجور، وقد انتهت هذه الثورات بطبيعة الحال إلى قطيعة بين أهل المغرب والخلافة الأموية والعباسية، وخروج معظم مناطق المغربين الأوسط والأقصى عن إدارة الخلفاء وولاتهم في المغرب، ثمَّ الانفصال التام والاستقلال النهائي أثناء الحكم العباسي[2].

1- موسى لقبال، **المرجع السَّابق**، ص119-120.

2- موسى لقبال، **المرجع السَّابق**، ص153 وما بعدها.

– التَّنظيم الإداري:

كان والي المغرب يقود الجيوش ويجهِّز البعوث للأقاصي ويقسم الغنائم بين المحاربين على قاعدة الأخماس، ويصرف مرتبات الجند من بيت مال المسلمين (مال الولاية) ويعمل على نشر الدِّين الإسلامي والتبشير به، ويساعد الولاة في هذه الأعمال مجموعة من العمال وهم عامل الخراج والصدقات، كاتب الولاية، والقاضي وتوابعه من المحتسبين والمفتين والمقرئين والشهود[1].

– التَّنظيم المالي:

كانت النظم المالية المطبقة في بلاد المغرب على العموم مشابهة للنظم السائدة في أقاليم الدولة الإسلامية الأخرى مع بعض الاختلافات البسيطة كاشتراط عمرو بن العاص على أهل برقة أن يبيعوا في جزيتهم من أولادهم من أحبوا، ومثل بقاء التعامل في إفريقية بالسكة الرومية التي ضربها جرجير، ومثل أخذ المسلمين لجزية غير نقدية من غير المسلمين في المواشي. والجوانب المالية في المغرب هي نفسها في باقي الأقاليم الإسلامية والتي تتمثل في: الغنائم، الفيء، الخراج، الجزية، الزكاة والعشور. وعندما توقفت الفتوحات الإسلامية في بلاد المغرب قلت موارد بيت مال المسلمين، فقام بعض ولاة المغرب مثل يزيد بن أبي مسلم وعُبيد الله بن الحبحاب بفرض ضرائب باهظة على البربر، وهذه الضرائب كانت مخالفة لتعاليم الدِّين

1- موسى لقبال، **المرجع السَّابق**، ص108-109.

الإسلامي التي تنص على أنَّ المسلمين لا تؤخذ من أموالهم غير الزكاة، فأدى ذلك على ظهور معارضة قوية من البربر للدِّفاع عن حقوقهم المشروعة عن طريق إعلان الثورة ضدَّ سياسة الولاة[1].

عنوان المحاضرة: الدَّولة المدراريَّة في المغرب الأقصى

– ثورات الخوارج بالمغرب الإسلامي :

بالرغم من أنَّ المذهب الخارجي كان مشرقي النشأة إلَّا أنَّ مبادئ وآمال رجالاته تجسدت أيضًا في بلاد المغرب الإسلامي، وقد تمثل ذلك في قيام دولتين خارجيتين إحداهما صفرية المذهب اتخذت من سجلماسة بإقليم تافيلالت بالمغرب الأقصى عاصمةً لها ونقصد بها الدولة المدرارية، والثانية انتحلت الإباضية وجعلت من تيهرت بالمغرب الأوسط عاصمةً لها ونقصد بها الدَّولة الرستمية.

وقبل تأسيس الخوارج لهاتين الدَّولتين كان لهم نشاط كبير مهد لقيامهما، وقد ساعدت عدة عوامل في تحقيق ذلك أهمها:

1- موسى لقبال، **المرجع السَّابق**، ص138 وما بعدها.

- الدعاية المحكمة لنشر أفكار المذهب الخارجي من جهة، وضدَّ مذهب الخصوم من جهة أخرى.

- تهيئة الأرضية الفكرية لتقبل الفكر الخارجي عند البربر الذين وجدوا في أفكار الخوارج مخرجًا لهم خاصةً ما يتعلق بمبدأ جواز الخروج على السلطان الجائر بالسلاح، لأنَّه يسعى إلى الإطاحة بحكم الأمويِّين ثمَّ العباسيِّين من بعدهم بسبب ما ارتكبه بعض ولاتهم على المغرب من ظلم في حقهم.

-احتضان وإعجاب البربر بفكرة الحكم الشورى وعدم انحصاره في قريش ولا في بيت عربي آخر ما يعني أنَّ هذه الفكرة تفتح لهم بأن يحكموا أنفسهم بأنفسهم.

- التَّنظيم السري المحكم للدعوات الخارجية.

- استخدام السلاح في الوقت المناسب بعد التنظيم والدعاية والانتشار.

- ضعف الدولة الأموية في أواخر عهدها، والعباسية في بداية نشأتها وانشغالهما بالثورات التي حدثت في بلاد المشرق عن ما يحدث في بلاد المغرب.

- انفصال وانعزال الخوارج وبعدهم عن السلطة المركزية بالمشرق وعاصمة الولاة بالمغرب القيروان، حيث حول الخوارج نشاطهم إلى المغرب الأقصى والجزء الغربي من المغرب الأوسط،

فمكنهم ذلك من تنظيم صفوفهم والقيام بالثورة، ولم يمكن أعدائهم من القضاء عليهم بسبب البعد المكاني وصعوبة التدخل في الوقت المناسب[1].

وتجدر بنا الإشارة في هذا المقام إلى أنَّ البربر قبل اعتناقهم للمذهب الخارجي وإعلانهم الثورة ضدَّ سياسة الولاة الجائرة قاموا بتصرف حضاري يبين أنَّهم ليسوا من الذين يحبون إثارة الفوضى والاضطراب والثورة لأتفه الأسباب، حيث قاموا بإرسال وفد يتكون من حوالي عشرين رجلًا بقيادة ميسرة المطغري إلى الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك في دمشق لمطالبته بإصلاح الوضع في بلاد المغرب، ويخلصهم من ظلم الولاة، ولكنهم لم يتمكنوا من مقابلته إذ حال الأبرش وزيره بينهم وبينه، فعاد الوفد إلى المغرب وقد عزموا على الثورة بعدما يئسوا من الإصلاح بالطرق السلمية[2].

1- محمود إسماعيل عبد الرزاق: **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري**، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1985م، ط2، ص42 وما بعدها ؛ موسى لقبال، **المرجع السَّابق**، ص151 وما بعدها ؛ عبد العزيز الثعالبي: **تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدَّولة الأغلبية**، جمع وتحقيق أحمد بن ميلاد، محمَّد إدريس، تقديم ومراجعة حمَّادي السَّاحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م، ط2، ص131 وما بعدها.

2- الطبري: **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق محمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، د.ت، ط2، ج4، ص254-255.

وقد شهد الطبري بأنَّ البربر كانوا يميلون إلى السلم بقوله "فمازال أهل المغرب من أسمع أهل البلدان وأطوعهم إلى زمان هشام بن عبد الملك، أحسن أمة سلامًا وطاعةً، حتَّى دبَّ إليهم أهل العراق[1]".

– نسب الصُفرية:

الصُفرية نسبةً إلى زياد بن الأصفر وهو النسب الأكثر تدولًا لدى المؤرخين، وهناك من ينسبهم إلى أقدم أئمتهم عبد الله بن صفار، كما نسبوا إلى النعمان بن صفر، وهناك من يقول أنَّهم قوم أنهكتهم العبادة فاصفرت وجوههم فقيل صفرية، وقيل بل هم الصِفرية لخلوهم من الدِّين فقد كان يقال لهم أنتم صِفر في الدِّين[2].

– نشاط الصُفرية وقيام الدَّولة المدراريَّة:

بدأ نشاط الخوارج الصفرية[3] ببلاد المغرب في أوائل القرن الثاني للهجرة على يد دعاتهم الأوائل وعلى رأسهم عكرمة بن عبد الله مولى عبد الله بن عباس ذلك العالم التابعي المغربي الأصل الذي اعتنق المذهب الصُفري وقام بنشره في بلاد المغرب عن طريق اتصاله برؤساء

1- **تاريخ الرسل والملوك**، ج4، ص254.

2- محمود إسماعيل عبد الرزاق، **المرجع السَّابق**، ص44-45.

3- حول مبادئ وعقائد المذهب الصُفري. (انظر: الشهرستاني: **المِلَلُ والنِّحَلُ**، تحقيق أمير علي مهنا، علي حسن فاهود، دار المعرفة، بيروت، 1993م، ط2، ج1، ص159-160).

القبائل البربرية سواء عندما زار بلاد المغرب وبالتحديد القيروان أو حينما تقابل معهم في المدينة المنورة[1].

وشيئًا فشيئًا نمت حركة الخوارج الصفرية باعتناق بعض القبائل البربرية لهذا المذهب وأعلنوا الثورة ضدَّ ولاة الأمويين للتَّخلص من سياستهم الجائرة المتمثلة خاصةً في الجشع المادي، وكانت أولى ثورات الخوارج الخطيرة تلك الثورة التي قادها ميسرة المطغري زمن الوالي عُبيد الله بن الحبحاب سنة 122هـ/740م، حيث جهز جيش قوامه أربعين ألفًا من الصُفرية وخمسة وعشرون ألفًا من الإباضية واستولى على مدينة طنجة وطرد حاكمها عمر بن عبد الله المرادي، وبايع الخوارج بها قائدهم ميسرة بالخلافة، ولكنه أساء السيرة فيهم فثاروا عليه وقتلوه، ثمَّ بايعوا خالد بن حميد الزناتي وأخذوا يشنون الغارات في المغربين الأقصى والأوسط، ولمَّا جاءت عساكر الوالي ابن الحبحاب لرد هجماتهم التقى الجمعان على ضفاف نهر الشلف وجرت معركة ضارية سميت بمعركة الأشراف سنة 122هـ/740م والتي انتهت بهزيمة جنود ابن الحبحاب. كما هزمت جيوش الخوارج أيضًا جنود الوالي كلثوم بن عياض القشيري في موقعة بقدورة على وادي سبو سنة 124هـ/742م، وفي نفس السنة هدَّد الصُفرية القيروان ولكن جموعهم انهزمت في معركتي القرن والأصنام أمام جنود الوالي حنظلة بن صفوان الكلبي. وفي سنة

1- محمود إسماعيل عبد الرزاق، **المرجع السَّابق**، ص46 وما بعدها.

132هـ/750م وقيل سنة 140هـ/757م اجتمع الصُفرية في مدينة مكناسة وبايعوا عيسى بن يزيد الأسود أمامًا لهم ولكنهم سرعان ما تنكروا له وقتلوه شر قتلة في سنة 155هـ/772م، وعينوا أبو القاسم المدراري خليفةً لهم فتوارث أولاده الحكم فيما بعد، وقد بلغ عددهم حوالي ثلاثة عشر أميرًا[1].

وقد اتخذ المدراريون من سجلماسة جنوب المغرب الأقصى عاصمةً لدولتهم، والتي استمرت قائمةً إلى أن ظهرت الدَّولة العُبيديَّة (الفاطميَّة) بالمغرب فأطاحت بها سنة 296هـ/909م لكن ما إن غادر العُبيديون سجلماسة حتى أعاد المدراريون إنشاء دولتهم من جديد، وأطاح بها الفاطميون مرةً أخرى سنة 347هـ/958م، فأعاد إحياءها ولدي الشاكر محمَّد بن الفتح، المنتصر بالله والمعتز بالله، حيث حكمها المنتصر بالله إلى غاية 352هـ/963م، ثمَّ المعتز بالله إلى غاية 366هـ/976م حيث زحف عليه أمير مغراوة الزناتية خزرون بن فلفول وقضى على دولتهم بصفة نهائية[2].

1- موسى لقبال، **المرجع السَّابق**، ص158 وما بعدها ؛ محمود إسماعيل عبد الرزاق، **المرجع السَّابق**، ص62 وما بعدها.

2- محمود إسماعيل عبد الرزاق، **المرجع السَّابق**، ص210 وما بعدها.

– العلاقات الخارجية:

التقت أهداف الدَّولتين المدراريَّة والرستميَّة وتوطدت بينهما أواصر المودة والصداقة فأصحابها ينتميان إلى المذهب الخارجي، فالرستميون نظروا إلى سجلماسة على أنَّها منفذ هام للقوافل التِّجارية إلى بلاد السودان الغربي، وشعر المدراريون بأهمية الرستميِّين لهم إذ أنَّ توثيق الصِّلات بهم يعطيهم الأمان الذي يشعرون بالحاجة إليه كدولة صغيرة يتربص بها الأعداء خاصةً جيرانهم الأدارسة، وزاد التقارب بين الدَّولتين عندما حدثت المصاهرة بينهما حيث تزوج الأمير مدرار بن المنتصر بن اليسع من أروى بنت عبد الرَّحمان بن رستم، كما توطدت العلاقات الثقافية والتجارية بينهما[1].

وبالنِّسبة للعلاقات مع دولة الأدارسة فقد اتسمت بطابع العداء الذي اتخذ صورة تدبير المؤامرات أولًا ثم تحول إلى صراع عسكري أسفر عن توسع الأدارسة على حساب بني مدرار أخيرًا، ولم يكن الصراع نتيجة الاختلاف المذهبي بقدر ما كان نتيجة لأسباب سياسية واقتصادية واجتماعية، فسياسيًا كانت علاقة المدراريون جيدة مع أعداء الأدارسة البرغواطيِّين وبني رستم وبني أمية بالأندلس، كما أنَّ قيام دولة الأدارسة تمَّ على حساب الخوارج الصفرية،

1- محمَّد عيسى الحريري: **الدَّولة الرستميَّة بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقاتها الخارجية بالمغرب والأندلس (160-296هـ)**، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1987م، ط3، ص206 وما بعدها.

بالإضافة إلى أطماع الأدارسة في ذهب سجلماسة وفضة درعة. ورغم هذا العداء إلَّا أنَّ العلاقات تخللتها فترات من المسالمة وحسن الجوار كما كان هناك تبادل تجاري بين الدَّولتين، حيث كانت القوافل التِّجارية تروح جيئةً وذهابًا بينهما في آمان وسلام[1].

اتخذت علاقات بني مدرار مع العباسيِّين وأعوانهم الأغالبة طابع العداء بسبب الاختلاف المذهبي، وانفصال الدَّولة المدراريَّة عن الخلافة العباسيَّة، حقيقة أنَّ هذا العداء لم يصل إلى درجة قيام الحروب بينهما، فقد شغل كل منهم بمشاكله الذاتية عن مناجزة خصومه، وحالت الظروف السِّياسيَّة والعوامل الجغرافية دون تناحرهم، فالدَّولة الرستمية بالمغرب الأوسط كانت حائلًا جغرافيًا بين الأغالبة وبني مدرار منع من حدوث الاصطدام المباشر بينهما، كما آثر الأمراء المداريون حياة الهدوء والموادعة داخل بلادهم النائية. واتخذت أيضًا العلاقات المدراريَّة العُبيديَّة (الفاطميَّة) طابع العداء الشديد، حيث أسقط العُبيديون الدولة المدرارية سنة 296هـ/909م. وبالنِّسبة لعلاقات بني مدرار والأمويِّين بالأندلس فلم يكن الاختلاف المذهبي والبعد الجغرافي حائلًا دون وجود صلات ودية بينهما، فقد جمعهما العداء المشترك للخلافة العباسيَّة والأغالبة والأدارسة، وسمح التقارب السِّياسي بينهما لوجود علاقات تجارية بحرية متينة

1- محمود إسماعيل: **الأدارسة (172-375هـ) حقائق جديدة**، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991م، ط1، ص136 وما بعدها.

تربط موانئ الأندلس في البحر الرومي (البحر الأبيض المتوسط) بموانئ بني مدرار في بحر الظلمات (المحيط الأطلسي)[1].

عنوان المحاضرة: الدَّولة الرستميَّة في المغرب الأوسط

– بداية الدَّعوة وتأسيس الدَّولة:

كان نشاط الإباضية مشابه لنشاط إخوانهم الصُفرية ومتزامنًا معهم أيضًا، وقد ثاروا بدورهم على سياسة الولاة الجائرة، وظهرت هذه الفرقة إلى الوجود ببلاد المشرق الإسلامي وكان دعاتها الأوائل إلى جانب عبد الله بن إباض، أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي العماني، وأبو عُبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي البصري وغيرهم.

لمَّا أدرك الإباضية صعوبة الدعوة لمذهبهم في المشرق انتقلوا إلى بلاد المغرب فظهر بها سلمة بن سعد الذي يُعتبر أول داعية إباضي يدخل بلاد المغرب في أوائل القرن الثاني للهجرة، واستقر بمدينة سرت وقيل بالقيروان وأخذ ينشر المذهب الإباضي، فكوَّن أتباعًا وأرسل بعضهم إلى البصرة ليتلقوا العلم من علماء الإباضية، وقد ذهب منهم عبد الرحمان بن رستم، وعاصم

1- محمود إسماعيل عبد الرزاق، **الخوارج في بلاد المغرب**، ص128 وما بعدها.

الصدراتي، وأبو داود القبلي النفزاوي، واسماعيل بن ضرار الغدامسي، وانضم إليهم في البصرة أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري اليمني، وقد مكثوا مدَّة خمس سنين وعاد هؤلاء الخمسة إلى المغرب وهم يشتعلون حماسًا لإقامة دولة على المذهب الإباضي[1].

وقد بايع الإباضية أبو الخطاب المعافري إمامًا لهم في محرم سنة 140هـ/جوان 757م بعد استيلائهم على مدينة طرابلس واتخذوها مقرًا لهم، واختار أبو الخطاب رفيقه في العلم عبد الرَّحمان بن رستم قاضيًا بطرابلس. وكان أبو الخطاب معروفًا بالعدل والرفق بالرعية فعظم شأنه وامتد سلطانه إلى برقة شرقًا والقيروان غربًا وفزان جنوبًا[2].

وكان استيلاء أبو الخطاب على القيروان سنة 141هـ/758م وأخرج قبيلة ورفجومة منها، وجعل عبد الرَّحمان بن رستم واليًا عليها، وقد مكث بها إلى سنة 144هـ/761م حيث وصلت جيوش الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور وهزمت الإباضية وأخرجتهم من القيروان، وقتلوا زعيمهم أبي الخطاب المعافري، وعلى إثر هذه الهزيمة أحس عبد الرَّحمان بن رستم بالخطر المحدق به بالمغرب الأدنى فقرَّر الذهاب إلى المغرب الأوسط رفقة الإباضيِّين الذين نجوا من المعركة حيث لا يصلهم جنود العباسيِّين، فاستقر عند قبيلة لماية البترية وذلك لحلف قديم كان

1- موسى لقبال، **المرجع السَّابق**، ص165.

2- محمَّد عيسى الحريري، **الدَّولة الرستميَّة**، ص67 وما بعدها.

قائمًا بينه وبينهم، ولما تكاثرت عليه الجموع شرع في تأسيس قاعدة يمكن الدِّفاع عنها فكان اختياره قد وقع على منطقة تيهرت لخصوبة أرضها ووفرة مياهها وحصانة طبيعتها وجودة مناخها، وكان أول بناء شرع فيه في حدود سنة 144هـ/761م هو المسجد الجامع ثمَّ البيوت وباقي المرافق الأخرى، وبعد أن أصبحت معقلًا عمرانيًا وسياسيًا وحضاريًا وتوطدت أسس الإمارة وأركانها وترسخت دعائمها وقواعدها بايع الإباضية عبد الرحمان بن رستم بالإمامة سنة 160هـ/777م[1].

– نظام الحكم والإدارة:

ترسخ الحكم الوراثي في الأسرة الرستمية حيث اقتصر الحكم على نسل عبد الرحمان بن رستم، وناقض بذلك الرستميون مبدأ الشورى الذي ناد به الخوارج والذي ينص على عدم انحصار الحكم في قبيلة أو أسرة معينة[2].

1- ابن عذارى، **المصدر السَّابق**، ج1، ص196 ؛ محمَّد عيسى الحريري، **الدَّولة الرستميَّة**، ص82 وما بعدها.

2- عندما تمَّ انتخاب عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم للإمامة، انقسم الرستميون إلى فرقتين إحداهما تناصره وتدعى الوهبية، والأخرى تعارض أمر توليه السلطة فسميت نكارية، ورغم مقتل زعيم النكارية إلَّا أنَّه بقيت منهم جماعات متفرقة في القبائل، وقد ظهر فيما بعد منهم أبو يزيد مخلد بن كيداد النكاري المعروف بصاحب الحمار والذي قاد ثورة كبيرة ضدَّ العبيديِّين (الفاطميِّين). (انظر: حسين مؤنس، **المرجع السَّابق**، ص118-119).

وأخذت الدَّولة الرستميَّة منذ قيامها بالأساليب المعروفة لإدارة الدول، وإن غلب على هذه الأساليب طابع البساطة، الذي يتناسب وأوضاع القبائل التي حكمت الدولة، والتي غلب على معظمها الطابع البدوي. فقد وضع عبد الرحمان بن رستم نظامًا بسيطًا للقضاء، والشرطة، وجباية الأموال، والصدقات، وكان الناتج من أموال الجباية والصدقات، يوزع بصفة خاصة على الفقراء والمساكين، وقد يقوم الإمام بشراء الأكسية والجباب الصوفية، والفراء والزيت لهؤلاء الفقراء. أمَّا رواتب الإمام ورجال الإدارة في الدولة والعمال، فكانت تدفع من مال الجزية وخراج الأرض[1].

وقد قسم الرستميون دولتهم إلى عمالات، أهمها في شرق الدولة في المغرب الأدنى هي قفصة، سرت، نفزاوة، قنطرارة، جبل نفوسة، قابس، وجبل دمر. وكان الأئمة الرستميون يتابعون العمال والرعية، عن طريق رسائل يكتبونها يشرحون فيها مبادئ المجتمع الإباضي، وكلها ترتكز على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وطاعة الأئمة[2].

وسار الرستميون على سنن المشارقة في كافة النظم الإدارية الأخرى، التي تكفل ضبط الأمور في دولتهم، فأنشأوا جهازًا للشرطة يقوم بأعمال الحراسة والمحافظة على الأمن. وأسس

1- محمَّد عيسى الحريري، **الدَّولة الرستميَّة**، ص229.

2- **نفسه**.

الإمام أبو اليقظان فرقة كاملة للقيام بأعمال الحسبة، وكان أفراد هذه الفرقة من قبيلة نفوسة الإباضية. وأقام الرستميون نظامًا تمتع القضاة في ظله بالنزاهة التامة، وحظوا بالاحترام الكامل من قبل الأئمة، حيث لم يسمح هؤلاء القضاة لأحد بأن يتدخل في شؤونهم، وكان القاضي يرى أن الأئمة وأبناءهم فوق كل الشبهات، وينبغي أن يكون الجميع قدوة طيبة للرعية. لذا نجد القاضي محمد بن عبد الله بن أبي الشيخ يستقيل من منصب القضاء، لأنَّ أبناء الإمام أبي اليقظان استغلوا كونهم أبناء الإمام وارتكبوا بعض الأخطاء. وفضلا عن ذلك اتخذ الرستميون الوزراء، والكتاب، والحجاب، والحراس، ونظام السجلات والخاتم، وكلها نظم ورسوم تأثرت إلى حد كبير بالتقاليد الفارسية في الإدارة والحكم، ومن أشهر الوزراء السمح بن أبي الخطاب، ومحمَّد بن عرفة[1].

وعن عمر دولتهم فقد عمرت حوالي قرنًا وثلاثين عامًا إلى أن أسقطت سنة 296هـ/909م من قبل العُبيديِّين (الفاطميِّين).

1- محمَّد عيسى الحريري، **الدَّولة الرستميَّة**، ص230.

– العلاقات الخارجية:

اتسمت العلاقات بين الرستميِّين والأدارسة بالعداء نتيجة خلافاتهم المذهبية والاجتماعية والسِّياسيِّة، فالأدارسة سنة مالكية أما بنو رستم فكانوا خوارج إباضية، وقد كان الأدارسة يغيرون على أملاك الدَّولة الرستمية لمحاولة اقتطاع أجزاء منها، ونجحوا في الاستيلاء على تلمسان سنة 173هـ/790م، كما حاكوا المؤامرات لبني رستم حيث كانوا وراء تمرد الواصليِّين على الإمام عبد الوهاب سنة 195هـ/811م، وأغلب الظن أنَّ ثورات قبيلة هوارة على الرستميِّين لم تخل من تحريض الأدارسة، وعن رد فعل الرستميِّين الذي لم يكن قويًا فقد قام الإمام عبد الوهاب بتحريض أصهاره من بني يفرن على الثورة ضدَّ الأدارسة فنجحوا في ثورتهم مدة إلى أن أخضعهم بصورة نهائية إلى نفوذ فاس الإمام إدريس الثَّاني سنة 197هـ/813م. وهكذا اتسمت علاقات بني رستم السِّياسيَّة مع الأدارسة بطابع العداء وأسفر الصراع بين الدَّولتين عن تغلب الأدارسة واستكانة الرستميِّين لأنهم لم يتمكنوا من مجاراتهم في تدبير المكائد وإحداث الشقاق[1].

1- سعدون عبَّاس نصر الله: **دولة الأدارسة في المغرب العصر الذهبي 172-223هـ/788-835م**، دار النَّهضة العربية للطِّباعة والنَّشر، بيروت، 1987م، ط1، ص166 وما بعدها.

وفيما يخص علاقتهم مع جيرانهم الأغالبة فقد قرر الرستميون اتباع سياسة التعايش السلمي مع دولة الأغالبة وهي الجار الأقوى على حدودهم الشرقية، بالرغم من خلافاتهم المذهبية ومسألة موالاة الأغالبة لأعدائهم العباسيِّين، وانتهاج الرستميِّين للتعايش السلمي يرجع في حقيقة الامر إلى طبيعة الحدود المشتركة بين الدَّولتين، إذ تطوق دولة الأغالبة الدَّولة الرستمية من الشرق والجنوب وحتَّى من الغرب لما احتل الرستميون طرابلس وما جاورها، ولم تكن هذه الحدود واضحة المعالم. وهذا التعايش السلمي لا يعني أنَّه لم يكن هناك عداء بينهما، بالرغم من كون الأغالبة لم يستطيعوا الإفصاح عن هذا العداء كما فعلوا مع باقي الدول المعادية للخلافة العباسية لذا عمدوا إلى تشجيع القلاقل والخلافات التي كانت تظهر بين الحين والآخر في مجتمع الدولة الرستميَّة[1].

وعن علاقة الرستميِّين بالأمويِّين في الأندلس فقد كانت علاقة ودية، على اعتبار أنَّهما يملكان عدوًا مشتركًا وهم العباسيون، وقد قامت بين قرطبة وتيهرت علاقات تجارية وكانت السفن تتردد على مدينتي وهران والمرية، وكانت تيهرت تضم جالية كبيرة من أهل الأندلس، وكان لأفلح بن عبد الوهاب مع أمراء بني أمية مودة كبيرة حيث كانوا يتبادلون الهدايا النَّفيسة[2].

1- محمَّد عيسى الحريري، **الدَّولة الرستميَّة**، ص196 وما بعدها.

2- عصام الدِّين عبد الرؤوف الفقي: **تاريخ المغرب والأندلس**، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، د.ت، ص157.

وبالنِّسبة لعلاقتهم مع العباسيِّين فقد كانت علاقة عداء لأنَّ الرستميِّين اقتطعوا جزءًا من ممتلكات العباسيِّين بالمغرب، ولوجود عداء تقليدي بين الخلافة العباسية السنية وبين الإباضية باعتبار أنَّهم فرقة من الخوارج، ورغم هذا العداء فقد كانت هناك فترات من السلم والموادعة بين الدَّولتين ساهم في وجود علاقات ثقافية تمثلت في الصِّلة القوية بين الرستميِّين وإباضية المشرق خاصةً أهل البصرة الذين كانوا من الناحية الشكلية من رعايا الدَّولة العباسيَّة. ونفس العلاقات بالتَّقريب كانت بين الرستميِّين والطولونيِّين بمصر التابعين للخلافة العباسية، إلَّا أنَّ السلم كان مع الطولونيِّين أفضل حيث حرص الرستميون على حسن الجوار معهم لأنَّ مصر تمثل الجار الشرقي والمنفذ الوحيد لهم إلى شرق العالم الإسلامي، إلَّا أنَّه يلاحظ أنَّ العلاقات السِّياسية كانت ضعيفة في حين نشطت العلاقات التِّجارية والثقافية ومرجع ذلك أنَّ مصر كانت موالية للخلافة العباسية[1].

1- محمَّد عيسى الحريري، **الدَّولة الرستميَّة**، ص187 وما بعدها.

عنوان المحاضرة: الدَّولة الإدريسيَّة في المغرب الأقصى

– تأسيس الدَّولة:

الأدارسة نسبة إلى إدريس بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنهم أجمعين) وقد فر إدريس الأوَّل من الجيش العباسي بالمشرق على إثر هزيمة العلويِّين في معركة فخ[1] يوم السبت الثامن من شهر ذي الحجة سنة 169هـ/10 جوان 786م[2] ودخل إلى المغرب الإسلامي، وهناك روايتين لكيفية دخوله إلى بلاد المغرب والأقرب منها إلى الحقيقة أنَّه دخل رفقة مولاه راشد عن طريق مصر حيث ساعده رجلًا يدعى واضح مولى صالح بن المنصور ويُعرف "بالمسكين" وكان هذا الرجل يميل إلى العلويِّين حيث أمنَّ له الطريق للوصول

1- من فِجاج مكة، وقيل من وديانها، بينهما ثلاثة أميال وقيل ستة، ويذكر بأنَّ النبي محمَّد صلى الله عليه وسلم اغتسل بها قبل دخوله مكة. (انظر: الحموي: **مُعجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1399هـ/1979م، مج4، ص237-238؛ الحِميري: **الرَّوضُ المعطار في خبر الأقطار**، حقَّقه إحسان عبَّاس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975م، ص436-437).

2- يرى ابن الأثير وابن خلدون أنَّ معركة فخ كانت يوم التروية الموافق ليوم السبت الثامن ذي الحجة 169هـ/10 جوان 786م وهو الأرجح، بينما يرى الحموي والحِميري أنَّها كانت في شهر ذي القعدة سنة 169هـ/ماي 786م. (انظر: **الكامل في التَّاريخ**، مج5، ص267 ؛ **تاريخ ابن خلدون**، ج4، ص10-11 ؛ **مُعجم البلدان**، مج4، ص237 ؛ **الرَّوض المعطار**، ص436).

إلى القيروان ثمَّ إلى مدينة تلمسان وارتحل بعدها إدريس إلى طنجة ونزل في مدينة وليلي سنة 172هـ/789م وكانت هذه المدينة منطلقًا لنجاح دعوته وتأسيس دولته[1].

وقد ساعدته قبيلة أوربة في ذلك عندما بايعوه بالإمامة في شهر رمضان سنة 172هـ/فيفري 789م ثمَّ توالت القبائل الأخرى في مبايعته لحبهم لآهل البيت[2].

وفي حدود سنة 192هـ/808م في عهد إدريس الثَّاني تمَّ بناء مدينة فاس لتصبح عاصمة للدَّولة الإدريسيَّة، وقد انتقل إليها النَّاس وعمروها وشيَّدوا مبانيها، وقد شملت دولتهم شمال المغرب الأقصى وبعض المدن من المغرب الأوسط كتلمسان وما جاورها[3].

- نظام الحكم:

اتبعت الدَّولة الإدريسيَّة النِّظام الوراثي حيث حكمها أربعة عشر حاكمًا كلهم من نسل إدريس الأوَّل، ويلاحظ على هذه الدَّولة أنَّها لم تنشأ على يد الدعاة، ولا كان لها تنظيم

1- ابن الأثير، **المصدر السَّابق**، مج5، ص268 ؛ ابن أبي زرع: **الأنيس المُطرِب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصورة للطِّباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص15 وما بعدها ؛ ابن خلدون، **المصدر السَّابق**، ج4، ص11 ؛ محمود إسماعيل، **المرجع السَّابق**، ص34-35.

2- ابن الأثير، **المصدر السَّابق**، مج5، ص268 ؛ ابن خلدون، **المصدر السَّابق**، ج4، ص11.

3- ابن عذارى، **المصدر السَّابق**، ج1، ص211 ؛ سعدون عبَّاس نصر الله، **المرجع السَّابق**، ص149 وما بعدها.

سري ولا حمل السلاح كما هو الحال بالنَّسبة للصفريَّة والإباضية والعُبيديِّين (الفاطميِّين)[1]، وبالنسبة للمذهب المتبع فالدَّولة الإدريسيَّة لم تكن شيعية (رافضية) وإنَّما كانت تجمع بين التَّسنن والاعتزال في بداياتها الأولى، ثمَّ طغى المذهب السني المالكي عليها فيما بعد، وقد كان إدريس الأوَّل يقول نحن أحق باتباع مذهب مالك وقراءة كتابه وذلك لرواية الإمام في الموطأ عن والده عبد الله الكامل[2]، ومن الأدلة التي تثبت ذلك كون الأدارسة لم يرتكبوا أي أعمال إجرامية في حق أهل السنة كما فعل العُبيديون الشيعة الروافض.

– النظام الإداري:

– الإمامة:

بنى الأدارسة حقهم في الملك على أنهم ورثة الرسول محمَّد صلى الله عليه وسلم وأحفاده، وأقنعوا أهل المغرب بهذا الحق، وكونوا دولة ثيوقراطية أساس السيادة فيها حقان إلهي وزمني، فكانوا زعماء روحيِّين وملوكًا زمنيِّين، وتلقبوا بالأئمة ولم يتلقبوا بالخلفاء لأنهم اعتبروا لقب الإمام أرفع منزلة في الدِّين من غيره. مع أنَّ شروط الإمامة غير المعصومة والخلافة واحدة. وقد انعقدت إمامة الأدارسة من وجهين: اختيار أهل الحل والعقد والعهد، فالوجه الأول

1- سعدون عبَّاس نصر الله، **المرجع السَّابق**، ص115 وما بعدها.

2- عبد الرَّحمان بن محمَّد الجيلالي، **المرجع السَّابق**، ص186.

انعقدت على أساسه بيعة أهل المغرب للإمامين إدريس الأول وإدريس الثاني. فقد اجتمع البربر في مدينة وليلي وبايعوا الإمامين بعدما تأكد لهم توفر الشروط فيهما وخاصةً النسب القرشي، وقد لعب راشد مولى الإمام إدريس الأول دورًا بارزًا في هذا الأمر. أما الوجه الثاني فقد تمَّ بعهد الإمام من قبل إلى من يليه من أبنائه، وهو ما انعقد الإجماع على جوازه ووقع الاتفاق على صحته، وقد اختار الإمام إدريس الثاني ابنه محمَّد فعهد إليه بالإمامة من بعده على أن يلي ذلك مبايعة أهل الحل والعقد قبل مباشرته مهامه، وكذلك عهد الإمام محمَّد إلى ابنه علي بالإمامة من بعده[1].

كان الأدارسة أول من دخل المغرب من آل البيت، وهذا ما جعل أنظار البربر تتطلع إليهم باحترام إلى درجة التقديس. فقد ترامى إلى مسامعهم ما حلَّ بهم من المآسي فرغبوا في مساعدتهم بمجرد السماع بذلك. فكيف وهم الآن بينهم ؟ وعلى هذا الأساس قدموا للأدارسة أقصى ما يمكن إعطاؤه وملوكهم عليهم. على أنَّ الأدارسة كانوا عند حسن ظن أهل المغرب، فطبقوا أحكام الإسلام وتعاليمه بحذافيرها في دولتهم، وكان الإمام يؤم النَّاس في الصلاة طيلة أيام الأسبوع وخاصةً صلاة الجمعة فكان يلقي الخطبة، وكذلك صلاة العيدين "الفطر والأضحى"، وكان يجلس للنَّاس بعد كل صلاة وفي أوقات محددة يحكم بينهم ويعالج

1- سعدون عبَّاس نصر الله، **المرجع السَّابق**، ص115 وما بعدها.

مشاكلهم، يعظهم ويثقفهم ويعلمهم القرآن وأحكام الإسلام واللغة العربية بتواضع لم يشهده أهل المغرب من قبل، ممَّا زاد من محبتهم لآل البيت وتعلقهم بهم. كما قام الإمام بتفقد أحوال النَّاس الصحية والمعاشية، حيث كان يعود المرضى ويواسيهم، وكذلك الفقراء والأيتام والأرامل اللواتي فقدن أزواجهن في الحرب. كان بمثابة الأب لهؤلاء المساكين، يقدم لهم العطايا والهبات وكل أنواع المساعدة بالسر والعلانية ليخفف عنهم الألم ويقوي عزائمهم. ولم ينس الإمام سائر المواطنين كان يقوم بزيارة سكان العاصمة كلما سنحت الفرص وكذلك سكان المناطق فكان يركب في جمع من أعوانه وحاشيته يرتاد المناطق للإطلاع على أحوالها فيصلح أمور الناس ويشاركهم أفراحهم وأتراحهم، وكان الإمام يحضر حفلات الزفاف وحضوره يضفي السرور والبهجة على تلك الحفلات، كما كان يشارك في تشييع الموتى ويواسي المصابين ويخفف عنهم الآلام[1].

– الوزارة:

نظم الأئمة الأدارسة جهازهم الإداري منذ أن حلوا أرض المغرب وذلك لتنظيم أمور الدَّولة الناشئة لخدمة المجتمع الذي رحب بهم والذي كانوا يجهلون عاداته وتقاليده لاختلاف البيئة. وبما أنَّ الإمام لا يقدر على مباشرة الأمور جميعها بنفسه فلا بد له من اللجوء إلى من

1- سعدون عبَّاس نصر الله، **المرجع السَّابق**، ص117-118.

يساعده ليكون أبعد عن الزلل وأمنع من الخلل، فكان الوزير. في السنوات الأولى لقيام دولة الأدارسة لم يتلقب الوزراء بهذا اللقب بل كانوا أقرب إلى المستشارين منهم إلى الوزراء، فكان راشد مولى الإمام إدريس الأوَّل نعم الناصح لسيده، وإلى جانب راشد كان أبو خالد العبدي البربري. أمَّا الإمام إدريس الثاني فقد اتخذ إلى جانبه وزيرين لمساعدته في تدبير أمور دولته خاصة وأنه كان صغير السن، أسند الوزارة إلى عُمير بن مصعب الأزدي العربي وإلى بهلول بن عبد الواحد المطغري البربري ولقب كلا منهما بالوزير. لقد كانت الوزارة في عهد الأدارسة وزارة تنفيذ، فالوزراء لا يستطيعون مباشرة أعمالهم إلَّا بأمر من الإمام، وكذلك تنفيذ المهمات كان يجري تحت إشرافه كي لا يستبد الوزراء بأمور الدولة كما يحدث في وزارة التفويض[1].

– الكتابة:

نتيجة لكثرة أعمال الإمام أصبح من الضروري تعيِّين موظفين يعاونونه للإشراف على إدارة شؤون البلاد، فكان الكاتب من أعوان الإمام المقربين فهو بمثابة خزانة أسراره ومرآة أحواله ولسانه الذي يخاطب به الأصدقاء والأعداء والقريب والبعيد، فهو أقرب إلى الإمام من الوزير، ولقد تعددت مهامه من كتابة الرسائل وإذاعة المراسيم والبراءات وتحرير الرسائل السياسية إلى الأمراء، وختمها بخاتم الإمام وكذلك مراجعة الرسائل الرسمية ووضعها في الصيغة النهائية، كما

1- سعدون عبَّاس نصر الله، **المرجع السَّابق**، ص118 وما بعدها.

كان يجلس في مجلس القضاء للنظر في المظالم وختم الأحكام بخاتم الإمام. ولقد اشتهر في صدر الدَّولة الإدريسيَّة الكاتب أبو الحسن عبد الله بن مالك الأنصاري الخزرجي الذي كان من العرب الوافدين على الإمام إدريس الثاني، وضع نفسه لخدمة الدَّولة، فاتخذه الإمام كاتبًا له، وكان يتمتع بثقافة عالية فاقت ثقافة غيره في المغرب عليمًا فهيمًا بليغًا، قام بالأمر خير قيام، ومن المهمات التي كلفه بها الإمام إدريس الثاني كتابة عقد شراء موضع مدينة فاس من أصحابه[1].

– القضاء:

في عهد الإمام إدريس الأوَّل كانت الدولة بدون قاض لأنَّه كان يجلس للنَّاس يحكم بينهم، ولم تكن مشاكلهم معقدة تتطلب جهدًا لحلها. وفي سنة 189هـ/804م وفدت على الإمام إدريس الثاني الوفود من الأندلس وإفريقيا، فاختار منهم عامر بن محمَّد بن سعيد القيسي وعينه على القضاء، وكان عامر رجلًا صالحًا ورعًا فقيهًا سمع من مالك بن أنس وسفيان الثوري وروي عنهما كثيرًا، وقد خرج من الأندلس برسم الجهاد ثمَّ جاز المضيق قاصدًا بلاد المغرب،

1- سعدون عبَّاس نصر الله، **المرجع السَّابق**، ص122 وما بعدها.

وهناك اتصل بالإمام إدريس الثاني حيث قلده القضاء، وكان يحكم وفق المذهب المالكي الذي انتشر في المغرب والأندلس في وقت واحد هو نهاية القرن الثاني للهجرة[1].

– الجيش:

وهو من المؤسسات التي حظيت باهتمام الأئمة. لقد بدأ الأدارسة بتنظيم جيشهم منذ أن وطأت أقدامهم أرض المغرب، فقد استطاع الإمام إدريس الأوَّل بعبقريته وحسن قيادته أن يوحد القبائل البربرية ويؤلِّف قلوبهم وأن يجهز منهم جيشًا استطاع بواسطته أن يستولي على المغرب، لقد كان الجيش في تلك المرحلة بربريًا صرفًا، وقد غلبت عليه ظاهرة التطوع. وفي عهد الإمام إدريس الثاني اتسعت دائرة التجنيد وتعددت جنسيات المتطوعين بانضمام العرب الوافدين من إفريقية والأندلس إلى صفوفه، وكذلك الفرس القادمين من العراق، وكانوا على مستوى عال من التدريب والكفاءة القتالية، وأكثرهم شارك في المعارك الدائرة في الأندلس ضد النَّصارى وفي المشرق ضد الروم البيزنطيِّين، فاكتسبوا مهارة قتالية جديدة زادت من كفاءة الجيش الإدريسي في المغرب ورفعت من معنوياته. وقد قسَّم الأئمة الجيش إلى مشاة وفرسان وحملة الأسلحة الثقيلة، أمَّا المعارك فكان يخضع للنظام العسكري السائد في الجيوش الإسلامية، فكان يتألف من ميمنة وميسرة وهما الجناحان وقلب. كان الجناحان يتألفان عادةً من الفرسان،

1- سعدون عبَّاس نصر الله، **المرجع السَّابق**، ص125-126.

أمَّا القلب فكان من صفوف، الصف الأوَّل ويحمل مقاتلوه الرماح لصد هجمات الفرسان، أمَّا الصفوف الباقية فكانت تضم بقية المشاة، وخلف الجميع حملة الأسلحة الثقيلة. أمَّا الأسلحة التي تزود بها الجيش فاختلفت باختلاف عناصره، وكان سلاح المشاة الدروع والسيوف والقسي والسهام والأقواس الطويلة والأطر والخناجر ويرتدون أردية صوفية خشنة بمثابة الدروع متدلية إلى ما تحت الركبة والسراويل والنعال. أمَّا الفرسان فكان سلاحهم السيوف والرماح والدرق اللمطية ويلبسون الدروع والخوذ الحديدية[1].

– سقوط الدَّولة:

بالنِّسبة لنهاية الدَّولة الإدريسيَّة بصفة نهائية فقد كان سنة 375هـ/985م على يد العُبيديون الذين هزموهم في سنة 296هـ/909م فأعادوا بعث دولتهم ثمَّ هزموهم سنة 305هـ/917م ثمَّ سنة 309هـ/921م، وفي سنة 313هـ/925م مكنوا موسى بن أبي العافية المكناسي من الاستيلاء على دولتهم، وتوالت هزائمهم تباعًا إلى أن تمَّ القضاء عليهم نهائيًا سنة 375هـ/985م[2].

1- سعدون عبَّاس نصر الله، **المرجع السَّابق**، ص127-128.

2- عن كيفية سقوط الدَّولة الإدريسيَّة والأسباب التي أدت إلى ذلك. (انظر: محمود إسماعيل، **المرجع السَّابق**، ص83 وما بعدها.

– العلاقات الخارجية:

تأثرت سياسة الأدارسة الخارجية بوضع دولتهم الجغرافي ومذهبها الدِّيني وظروفها السياسية. ولقد تطرقنا سابقًا للحديث عن علاقة الأدارسة مع الدَّولتين المدرارية والرستمية، وسأتحدث الآن عن علاقاتها مع الخلافة العباسية بالمشرق ودولة الأغالبة بالمغرب، وكذلك علاقتها مع الخلافة الأموية بالأندلس والعُبيديِّين (الفاطميِّين) بالمغرب.

فقد كانت علاقتهم مع الخلافة العباسية علاقة عداء شديد، فالعداء الذين كان بين أبناء العمومة العباسيِّين والعلويِّين في المشرق استمر أكثر حدة لما أسَّس الأدارسة العلويِّين دولتهم في المغرب الأقصى، وقد حاول الخليفة العباسي هارون الرشيد القضاء على هذه الدَّولة الناشئة خاصةً بعد أن امتدت حدودها إلى المغرب الأوسط ولكن بُعد العراق حال دون إرسال الجيوش، ومن مظاهر هذا العداء الشديد بين الطرفين تلك الرِّسالة الخطيرة والهامَّة التي أرسلها إدريس الأوَّل إلى أهل مصر يذكرهم فيها بفضائل أهل البيت ويصف التَّضحيات الغالية التي بذلوها في سبيل حقهم الشرعي ويطالبهم بتأيِّيده ومساندته[1]، وقد أقلقت هذه الرِّسالة كثيرًا الخليفة الرشيد فسارع للتَّخلص من الإمام إدريس حيث أرسل أحد جواسيسه "سليمان بن

1- عبد الهادي التَّازي: **التَّاريخ الدِّيبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، الدَّولة الإدريسيَّة**، مطابع فضالة، المحمدية، 1987م، مج4، ص39 وما بعدها.

جرير الشماخ" الذي تمكن من اغتياله بالسم، ثمَّ اغتيال راشد مولى الإمام إدريس، ومع هذا لم يستطيعوا القضاء على دولة الأدارسة وهم في أوج عزهم وقوتهم، عند ذلك عزموا على التآمر المباشر وكلفوا ولاتهم الأغالبة في إفريقية بهذه المهمة، واستمرت العلاقات العدائية حتَّى سقوط الدَّولة نهائيًا ولم تشهد أي نوع من التَّقارب[1].

وفيما يخص علاقتهم مع دولة الأغالبة فمن الطبيعي أن تكون امتدادًا لعلاقات بغداد بفاس فدولة الأغالبة كانت تدين بالولاء السِّياسي والتبعية الاسمية للخلافة العباسية على الرغم مما تمتعت به من استقلال ذاتي، ولقد فرضت الظروف الجغرافية والسِّياسيَّة على الدَّولتين أن تتخذ العلاقات بينهما شكلًا عدائيًا ولكن هذا العداء لم يبلغ حد القتال وتجهيز الجيوش لوجود فاصل بينهما هو دولة بني رستم الخارجية[2].

وعن علاقة الأدارسة بالأمويِّين بالأندلس فقد اتسمت هي الأخرى بالطابع العدائي على العموم نتيجة العداء الموروث في المشرق بين الأمويِّين والعلويِّين، ورغم ذلك لم يحدث التَّصادم الحربي بينهما لأنَّهما يملكان عدوًا مشتركًا وهو الخلافة العباسيَّة بالمشرق وحليفتهم دولة الأغالبة بالمغرب، فكلا الدَّولتين خضعتا لسياسة الاعتراف بالأمر الواقع، واقتصرت مظاهر

1- سعدون عبَّاس نصر الله، **المرجع السَّابق**، ص163.

2- سعدون عبَّاس نصر الله، **المرجع السَّابق**، ص163-164.

العداء بينهما على حيك المؤامرات والمكائد والتَّجسس وتشجيع المنتزين، وقد حرص الطرفين رغم ذلك على توطيد العلاقات الاقتصادية إذ حرص أمويو الأندلس على أن تظل أسواق المغرب الأقصى مفتوحة أمام بضائعهم فضلًا عن الفوز بنصيب من تجارة السودان الغربي عن طريق تجار الأدارسة[1].

وبالنِّسبة لعلاقة الأدارسة بالعُبيديِّين (الفاطميِّين) فقد كانت علاقة حرب وتصادم، على اعتبار أنَّ العُبيديِّين أسقطوا دولة الأدارسة سنة 296هـ/909م، وبإحياء الأدارسة لدولتهم تجددت المعارك بين الدَّولتين إلى أن سقطت دولة الأدارسة بصفة نهائية سنة 375هـ/985م. وعلى العموم فقد اتسمت علاقتهما بالعداء ولكن تخللتها نوع من المرونة لكون الأدارسة كانوا بين مطرقة العُبيديِّين وسندان الأمويِّين بالأندلس فقد وقفوا موقف المتردد تارةً يؤيدون العبيديِّين وأخرى يناصرون الأمويِّين حسب مقتضى الحال مستهدفين بذلك مجرد البقاء والاستمرار[2].

1- محمود إسماعيل، **المرجع السَّابق**، ص149 وما بعدها.

2- محمود إسماعيل، **المرجع السَّابق**، ص159 وما بعدها.

عنوان المحاضرة: الدَّولة الأغلبيَّة في المغرب الأدنى

– تأسيس الدَّولة:

ثار الأهالي على والي القيروان محمَّد بن مقاتل العكي لكونه كان حاكمًا ظلومًا وآزرهم في ثورتهم عامله على تونس تمام بن تميم، وعندما لم يقدر ابن مقاتل الصمود أمام هذه الثورة فرَّ إلى طرابلس وبعث إلى إبراهيم بن الأغلب حاكم إقليم الزاب بمدينة طبنة يطلب النجدة منه، فلبى إبراهيم النجدة عام 183هـ/799م فأعاد الأمن إلى نصابه، وأعاد ابن مقاتل إلى مركزه كوالي على القيروان، ولكن الأهالي كرهوا حكمه ورفضوا إعلان الولاء والطاعة له وطلبوا من إبراهيم أن يتولى شؤونهم، فكتب بذلك إلى الخليفة العباسي هارون الرشيد الذي أجاب رغبته ورغبتهم وكافأه على حسن بلائه وعقد له ولأبنائه من بعده بولاية العهد على إفريقية مقابل خراج سنوي تدفعه إمارته إلى الخليفة مقداره أربعون ألف دينار وذلك عام 184هـ/800م فأنشأ مدينة العباسية[1] على ثلاثة أميال من القيروان واتخذها عاصمةً لدولته[2].

1- نشير إلى أن الأغالبة اتخذوا مدينة العباسية عاصمة أولى لدولتهم وقد سميت بهذا الاسم تعبيرًا عن ولائهم للعباسيِّين ثمَّ سميت بالقصر القديم، ونقلوا العاصمة فيما بعد إلى القيروان كما نقلت إلى رقادة التي سميت بالقصر الجديد في عهد الأمير إبراهيم بن أحمد. (انظر: ابن وردان: **تاريخ مملكة الأغالبة**، دراسة وتقديم وتحقيق وتعليق محمَّد زينهم محمَّد عزب، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1988م، ط1، ص40-41 ؛ حسين مؤنس، **المرجع السَّابق**، ص97-98).

2- ابن الأثير، **المصدر السَّابق**، مج5، ص313 ؛ ابن وردان، **المصدر السَّابق**، ص30 وما بعدها.

وهكذا ظهرت الدَّولة الأغلبيَّة التي تمتعت بشبه استقلال ذاتي تستظل بالخلافة العباسية، حيث كان الأغالبة يذكرون اسم الخليفة على المنابر ويرسلون له خراجًا سنويًا، وينقشون اسمه على السكة[1].

– نظام الحكم ونهاية الدَّولة:

امتدت حدود الدَّولة الأغلبية من المغرب الأدنى إلى المغرب الأوسط (الجهة الشرقية منه) وإلى بلاد الزاب في الجنوب، واتبعت الحكم الوراثي حيث اقتصر الحكم على أسرة مؤسس الدَّولة إبراهيم بن الأغلب وحكم منهم أحد عشر أميرًا[2]، واستمرت هذه الدَّولة قائمة حوالي قرن من الزمن حيث قضى عليها العُبيديون (الفاطميون) سنة 296هـ/909م[3].

واهتم الأغالبة بالجهاد البحري حيث وجهوا حملات عديدة لفتح جزر البحر الأبيض المتوسط، ففتحوا جزيرة صقلية سنة 212هـ/827م بقيادة أسد بن الفرات في عهد الأمير زيادة الله الأوَّل ونشروا الحضارة الإسلامية فيها، كما فتحوا جزيرة مالطة عام 255هـ/869م

1- ابن وردان، **المصدر السَّابق**، ص33 .

2- حسين مؤنس، **المرجع السَّابق**، ص95 وما بعدها.

3- ابن الأثير، **المصدر السَّابق**، مج5، ص455 وما بعدها ؛ ابن وردان، **المصدر السَّابق**، ص34 ؛ عبد الله محمَّد جمال الدِّين: **الدَّولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر إلى نهاية القرن الرابع الهجري مع عناية خاصة بالجيش**، دار الثقافة والنَّشر والتَّوزيع، القاهرة، 1991م، ص45 وما بعدها.

في عهد الأمير محمَّد الثاني أبي الغرانيق، كما فتحوا عدة جهات جنوب شرق إيطاليا وأرغموا البابا على دفع غرامة مالية كبيرة لهم سنة 262هـ/876م[1].

- العلاقات الخارجية:

بطبيعة الحال فقد كانت علاقة الأغالبة بالعباسيِّين علاقة ولاء لأنَّ دولتهم تابعة للخلافة العباسيَّة وتتمتع بشبه استقلال ذاتي، وكانت علاقتهم بالأمويِّين في الأندلس امتدادًا لعلاقة العباسيِّين بالأمويِّين، فقد تميزت بالعداء الشديد وصلت إلى حد الإغارة على أملاك الأغالبة وتخريب مدنها، وإن كنا مع ذلك نذكر مساعدة أسطول الأمويِّين في الأندلس للأغالبة أثناء فتح صقلية[2].

وفيما يخص علاقتهم مع العُبيديِّين (الفاطميِّين) فهي علاقة عداء وحروب، ومعلوم بالضرورة أنَّ الفاطميِّين هم الذين أسقطوا دولة الأغالبة بصفة نهائية سنة 296هـ/909م وملكوا أراضيها[3].

1- محمَّد محمَّد زيتون، **المرجع السَّابق**، ص111 وما بعدها ؛ عبد العزيز الثعالبي، **المرجع السَّابق**، ص220 وما بعدها.

2- محمَّد محمَّد زيتون، **المرجع السَّابق**، ص136-137.

3- عبد العزيز الثعالبي، **المرجع السَّابق**، ص309 وما بعدها.

وبالنَّسبة لعلاقة الأغالبة مع دولة الطولونيِّين بمصر، كانت ودية على اعتبار أنَّ كلا الدَّولتين تخضعان للخلافة العباسيَّة وتقر بسلطانها وتدفع لها قدرًا من المال، ولم تحدث بينهما حروب إلَّا في سنة 267هـ/881م حينما قاد العباس بن احمد بن طولون حملة عسكري للاستيلاء على إفريقية ولكن الأغالبة استطاعوا هزيمته وانتهت الحملة بالفشل[1].

وعن علاقة الأغالبة بالعالم المسيحي فقد كانت شديدة العداء، وقد بدأ هذا العداء سنة 206هـ/821م حيث شنت السفن الأغلبية عدة غارات على سردينية عادت محملة بالغنائم، وشن الفرنجة بدورهم غارات على افريقية، ووصلت غارتهم حتى مشارف أبواب القيروان، واشتد العداء بينهم بعد حملة الأغالبة على صقلية واستيلائهم عليها سنة 212هـ/827م وعبورهم مضيق مسينا إلى شبه الجزيرة الإيطالية التي كان يخضع معظمها للإمبراطورية الكارولنجية[2].

1- محمَّد محمَّد زيتون، **المرجع السَّابق**، ص137 وما بعدها.

2- عصام الدِّين عبد الرؤوف الفقي، **المرجع السَّابق**، ص129 وما بعدها.

عنوان المحاضرة: الدَّولة العُبيديَّة (الفاطميَّة) في المغرب الإسلامي

– بداية الدَّعوة وتأسيس الدَّولة:

تمكن الداعي أبو عبد الله الشيعي من دخول بلاد المغرب الإسلامي في حدود سنة 288هـ/901م مع جماعة من قبيلة كتامة تعرَّف عليها في الحج[1]، ودخل معهم إلى بلادهم بالمغرب الأوسط في زي معلم القرآن، ولما استقر به المقام وكوَّن جيشًا قويًا أفصح عن دعوته وشرع في تهيئة الأرضية لتأسيس دولة على المذهب الشيعي، ثمَّ أرسل إلى إمامه عُبيد الله المهدي الذي كان متخفيًا بقرية سلمية القريبة من حِمص ببلاد الشام للقدوم إليه، فجاء متخفيًا إلى بلاد المغرب فاستقر بالقيروان، وعندما أحس بالخطر فرَّ إلى سجلماسة بالمغرب الأقصى ودخلها في زي التجار، وبقي فيها يتحرك كما يريد إلى أن وصل الأمر إلى الخليفة العباسي والأغالبة يخبرون بني مدرار بأمر هذا الرجل وخطورته فألقوا عليه القبض وسجنوه. ولمَّا تمكن أبو عبد الله الداعي من الانتصار على الأغالبة سنة 296هـ/909م توجه بعساكره إلى سجلماسة وفي طريقه أطاح بالدَّولتين الرستميَّة والإدريسية وحاصر سجلماسة مدةً طويلةً وفي النهاية

1- جاء أبو عبد الله الداعي إلى بلاد المغرب استجابةً لأمر معلمه باليمن ابن حوشب الذي سمع بوفاة كبار دعاة الشيعة الحلواني وأبي سفيان في بلاد المغرب، فأعطاه مالًا وقال له "إنَّ أرض كتامة من المغرب قد حرثها الحلواني وأبو سفيان وقد ماتا وليس لها غيرك، فبادر فإنَّها موطأة ممهدة لك" (انظر: ابن الأثير، **المصدر السَّابق**، مج6، ص450 ؛ عبد الله محمَّد جمال الدِّين، **المرجع السَّابق**، ص41-42).

دخلها وأخرج عُبيد الله المهدي من السجن وعاد به إلى القيروان، وبايعه رفقة جيشه بالإمامة وبذلك تظهر الدَّولة العُبيديَّة (الفاطمية) للوجود، والتي اتخذ حكامها من مدينة المهدية بالمغرب الأدنى عاصمةً لدولتهم[1].

– نظام الحكم ومذهب الدَّولة:

أسقطت الدَّولة العُبيدية (الفاطمية) كل دُول بلاد المغرب "الأغلبية، الرستمية، المدرارية والإدريسية" وملكت بذلك بلاد المغرب قاطبةً وهذا في حدود 296هـ/909م، كما ملكت جزيرة صقلية، وقد اتبعت هذه الدَّولة النظام الوراثي حيث كان الحكم في عقب عُبيد الله المهدي، واتخذت من المذهب الشيعي الإسماعيلي مذهبًا رسميًا للدَّولة[2]، وادعى مؤسسها بأنَّه من نسل فاطمة الزهراء كما ادعى بأنَّه المهدي المنتظر وأنَّه الإمام المعصوم لكي يخدع النَّاس ويستميلهم إليه، وينفي بعض المؤرخين انتسابه لفاطمة الزهراء وقيل بأنَّه ابن ميمون القداح الديصاني المجوسي[3].

1- ابن الأثير، **المصدر السَّابق**، مج6، ص450 وما بعدها ؛ ابن عذارى، **المصدر السَّابق**، ج1، ص149 وما بعدها؛ علي حُسني الخربوطلي: **أبو عبد الله الشيعي مؤسِّس الدَّولة الفاطمية**، المطبعة الفنية الحديثة، 1972م، ص31 وما بعدها.

2- علي حُسني الخربوطلي، **المرجع السَّابق**، ص56-57.

3- عن مشكلة النسب الفاطمي لعبيد الله المهدي. (انظر: ابن الأثير، **المصدر السَّابق**، مج6، ص446 وما بعدها).

– ثورة السنيِّين والإباضيِّين على العُبيديِّين:

عندما استقر المقام بعبيد الله المهدي في بلاد المغرب وأحس جفاء من أبو عبد الله الداعي وأخيه قتلهما وأظهر مذهبه الشيعي الإسماعيلي الرافضي[1]، فوجد معارضة شديدة من السنيِّين والخوارج الذين قاموا بثورات عديدة ضدَّ هؤلاء الظلمة، أشهرها ثورة أبو يزيد مخلد بن كيداد الزناتي الملقب بصاحب الحمار، وقد دامت ثورته أربع سنوات (332-336)هـ/(944-948م) وقامت هذه الثورة للأسباب التالية:

– فرض المذهب الإسماعيلي الشيعي الرافضي على المغاربة بالقوة.

– محاربة المذهب السُني والإباضي معًا.

– إجماع علماء القيروان وسائر بلاد المغرب على تكفير العُبيديِّين وأنهم زنادقة.

– إفتاء علماء القيروان بجواز التعاون مع الخوارج الإباضية ضدَّ الزنادقة العُبيديون.

– ارتكاب العُبيديِّين أعمال إجرامية شنيعة ضدَّ أهل السنة ببلاد المغرب، فقد قتلوا الكثير من العلماء والفقهاء والرعية، ومن بين أعمالهم الإجرامية التي لا تعد ولا تحصى أنَّ الإمام الثاني القائم بن عُبيد الله المهدي كان مناديه ينادي أمام الملأ "العنوا الغار وما حوى" وهم يقصدون

1- ابن الأثير، **المصدر السَّابق**، مج6، ص461 وما بعدها ؛ ابن عذارى، **المصدر السَّابق**، ج1، ص164-165.

غار ثور الذي كان فيه النبي محمَّد صلى الله عليه وسلم وأبي بكر الصِّديق متخفيان في هجرتهما إلى المدينة المنورة، كما كان أتباعه يعلقون رؤوس الحمير في الحوانيت ويكتبون عليها أسماء الصحابة[1].

وعن هذه الثورة التي تزعمها الخارجي مخلد بن كيداد وساعده في ذلك السُنيون فقد كانت ثورة كبيرة قام خلالها مخلد بن كيداد بحصار المهدية عاصمة العُبيديِّين مدة أربع سنوات (332-336)هـ/(944-948م) وكاد أن يهزمهم لطول مدة الحصار وتضرر أهل المدينة بسبب الجوع، ولم يتمكن العُبيديون من القضاء على هذه الثورة إلَّا عندما انفضت القبائل الزناتية وتخلت عن نصرة مخلد بن كيداد الذي اضطر إلى فك الحصار وهذا في عهد الخليفة العُبيدي المنصور الذي خلف والده القائم المتوفي سنة 334هـ/946م أثناء الحصار، وقد لحق المنصور جيش مخلد بن كيداد عندما فضَّ الحصار وألحق به الهزيمة، وألقي القبض على زعيمهم مخلد بن كيداد وقام بقتله وبذلك تمكن العُبيديون من قمع أخطر ثورة ضدهم في بلاد المغرب.

1- ابن الأثير، **المصدر السَّابق**، مج6، ص188-189 ؛ ابن عذارى، **المصدر السَّابق**، ج1، ص216 ؛ عصام الدِّين عبد الرؤوف الفقي، **المرجع السَّابق**، ص180-181.

ورغم انتصار العبيديون في هذه الثورة في آخر المطاف إلَّا أنَّهم أخذوا درسًا كبيرًا حيث تأكد لهم أنَّه لا مقام لهم في بلاد المغرب لذا سعوا جاهدين للانتقال إلى بلاد المشرق الإسلامي[1].

– انتقال العُبيديون إلى مصر (المشرق الإسلامي):

جعل العُبيديون من بلاد المغرب منطلقًا لبناء دولتهم ولكن كان هدفهم الأسمى هو الانتقال إلى بلاد المشرق لمقاومة العباسيِّين والقضاء على دولتهم والاستيلاء على الحرمين الشريفين، فكانت لحكام الدَّولة العُبيديَّة العديد من المحاولات للاستيلاء على مصر وقد تكللت محاولاتهم بالنَّجاح في عهد إمامهم الرابع المعز لدين الله الذي أرسل جيشًا ضخمًا بقيادة جوهر الصقلي من المغرب إلى مصر يوم السبت 14 ربيع الأوَّل سنة 358هـ/969م، وقد تمكن هذا الجيش من الاستيلاء على مصر مستغلًا الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية المتردية فيها بعد موت حاكمها "كافور الإخشيدي" سنة 355هـ/966م. وقد انتقل المعز لدين الله العُبيدي إلى مصر بعد أربع سنوات من الاستيلاء عليها أي في سنة 362هـ/973م، واتخذ من القاهرة عاصمةً لدولته، وترك في بلاد المغرب الزيريون حكامًا

1- ابن الأثير، **المصدر السَّابق**، مج6، ص189 وما بعدها ؛ ابن عذارى، **المصدر السَّابق**، ج1، ص216 وما بعدها؛ عبد الله محمَّد جمال الدِّين، **المرجع السَّابق**، ص65 وما بعدها.

عليها[1]، وقد عمرت دولتهم في المشرق الإسلامي حوالي قرنين من الزمان حيث سقطت سنة 567هـ/1171م بقيادة صلاح الدِّين الأيوبي[2].

– العلاقات الخارجيَّة:

معلوم بالضرورة أنَّ علاقة العُبيديِّين (الفاطميِّين) بالخلافة العباسية هي علاقة عداء شديد، وهو عداء قديم يعود جذوره إلى الصراع العلوي العباسي في المشرق الإسلامي، فالعلويِّين يرمون العباسيِّين بالخيانة ويتهمونهم بسرقة الحكم منهم بعد سقوط الخلافة الأموية سنة 132هـ/149م. فانتقل هذا الصراع إلى بلاد المغرب بعد أن قام العُبديون بإسقاط دولة الأغالبة حليفة العباسيِّين والاستيلاء على كامل بلاد المغرب وتطلع هؤلاء للاستيلاء على بلاد المشرق الإسلامي.

وكانت علاقتهم مع الأمويِّين في الأندلس علاقة عداء وحرب أيضًا، نتيجة الاختلاف المذهبي فالفاطميِّين شيعة روافض والأمويِّين سُنة، وكانت بلاد المغرب ميدان للصراع بين الدَّولتين حيث عملت كل دولة على استمالة القبائل البربرية إلى صفها خاصةً قبيلة زناتة في غرب بلاد المغرب. وحاول كل من الطرفين إرسال دعاته ورجاله للتَّعرف على مواطن الضعف

1- عبد الله محمَّد جمال الدِّين، **المرجع السَّابق**، ص93 وما بعدها ؛ حسين مؤنس، **المرجع السَّابق**، ص150-151.

2- ابن الأثير، **المصدر السَّابق**، مج6، ص446.

في البلد الآخر، وعمل الفاطميِّين على فتح أبواب المهدية والقيروان أمام اللاجئين الأندلسيِّين، وتشجيع الثوار في الأندلس ومساندتهم فأيدوا الثائر الأندلسي عمرو بن حفصون إذ أمده الخليفة عُبيد الله المهدي بالهدايا والذخيرة والأسلحة[1].

وفيما يخص علاقتهم مع الدُّول الأوروبية، فقد تغيرت الأحوال، فبعدما كانت علاقة الأغالبة بالدُّول الأوروبية مبنية على التوثب والهجوم، تحول الأمر مع العُبيديِّين إلى الدِّفاع والتَّسليم، فقد اضطربت الأحوال السِّياسيَّة في جزيرة صقلية خلال الحكم العُبيدي ما جعل النورمان يغيرون عليها وتمكنوا من الاستيلاء عليها سنة 484هـ/1091م[2].

عنوان المحاضرة: الدَّولة الزيريَّة في المغرب الإسلامي

– نشأة الدَّولة:

ينتسب الزيريون إلى قبيلة صنهاجة البربرية وزعيمها الأكبر هو زيري بن مناد الصَّنهاجي الذي قيل بأنَّه ساعد العُبيديون (الفاطميون) في القضاء على ثورة صاحب الحمار فأكرمه

1- سامية مصطفى مسعد: **العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأمويَّة (300-399هـ/912-1008م)، عين للدِّراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية**، 2000م، ط1، ص79 وما بعدها.

2- عبد العزيز الثعالبي، **المرجع السَّابق**، ص335.

المنصور بالله بن القائم العُبيدي وعيَّنه أميرًا على قومه تقديرًا لجهوده وخدماته وولاه أمر تيهرت وباغاية فأمنت دولة العُبيديِّين يومئذٍ من أخطار سكان هذه النواحي من بني يفرن الزناتيِّين. وبعد حوالي ستة وعشرين سنة من الحكم قُتل زيري بن مناد في رمضان 360هـ/جويلية 971م في حربه ضدَّ قبائل زناتة الموالية للأمويِّين في الأندلس، عَين المعز بن المنصور العُبيدي "بلكين بن زيري" واليًا على أشير والمسيلة وتيهرت فأحسن الولاية فيها، واتخذ من أشير التي بناها والده سنة 324هـ/936م عاصمةً لولايته واستطاع أن يحمي ظهر العُبيديِّين من الجهة الغربية لبلاد المغرب حيث تصدى للقبائل الزناتية التي كانت تتربص بالعبديِّين[1].

وعندما عزم المعز بن المنصور العُبيدي الانتقال إلى مصر عام 362هـ/973م جعل بلكين بن زيري أميرًا على بلاد المغرب كلها ما عدا صقلية وطرابلس وقبيلة كتامة، وسماه يوسف وكناه أبا الفتوح ولقبه بسيف الدَّولة، وكان ذلك بداية فعلية لظهور الدَّولة الزيريَّة الصَّنهاجية ببلاد المغرب[2].

1- الهادي روجي إدريس: **الدَّولة الصَّنهاجيَّة تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م**، نقله إلى العربيَّة حمَّادي السَّاحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ط1، ج1، ص31 وما بعدها ؛ يحي بوعزيز، **المرجع السَّابق**، ج1، ص145.

2- ابن عذارى، **المصدر السَّابق**، ج1، ص228.

– نظام الحكم وسقوط الدَّولة:

اتبعت الدَّولة الزيرية النظام الوراثي حيث كان الحكم في نسل زيري بن مناد، وقد حكمها حوالي تسعة أمراء، جعلوا من المهدية بتونس عاصمة لهم، وكان المذهب المتبع في بداية الدَّولة الزيرية هو المذهب الشيعي الرافضي على اعتبار أنَّهم كانوا تابعين للعُبيديِّين في مصر، وهو المذهب الرسمي للدَّولة في حين أنَّ الكثير من أهل المغرب كانوا على مذهب السنة وكانوا يعارضون المذهب الشيعي، وقد حدث في عهد المعز باديس تحول جذري بالنِّسبة للجانب المذهبي حيث تخلى عن المذهب الشيعي وتحول إلى المذهب السني المالكي وبذلك تحول جميع سكان الدَّولة إلى المذهب السني وهذا في حدود عام 440هـ/1048م، كما قطع المعز الدَّعوة للعبيديِّين في القاهرة وحولها إلى العباسيِّين في بغداد[1]، وعندما لم يستطع العُبيديون الانتقام منه عسكريًا أرسلوا في حدود سنة 442هـ/1050م أعراب بني هلال وبني سليم وغيرهما إلى بلاد المغرب للقضاء على الزيريِّين والحماديِّين معًا[2]، فساد الاضطراب والفوضى في المغرب فسهل على النورمان الاستيلاء على المهدية عاصمة الزيريِّين عام 543هـ/1148م وكانت بذلك الضربة القاضية والنهاية الحتمية لهذه الدَّولة ونشير إلى أنَّ الموحِّدين استولوا فيما بعد على

1- ابن الأثير، **المصدر السَّابق**، مج8، ص295 ؛ ابن عذارى، **المصدر السَّابق**، ج1، ص273-274.

2- ابن الأثير، **المصدر السَّابق**، مج8، ص295 وما بعدها.

عاصمة الزيريِّين المهدية سنة 555هـ/1160م وقضوا على النورمان واستولوا على كافة بلاد المغرب الإسلامي[1].

– العلاقات الخارجية:

كانت علاقة الزيريِّين مع العُبيديِّين في البداية علاقة ولاء شديد لأنَّ الدَّولة الزيرية في المغرب كانت تابعة للخلافة العُبيدية (الفاطمية) في مصر، وتغيرت العلاقات بينهما بصفة جذرية لما تولى السلطة المعز بن باديس الزيري فغير ولاءه للعباسيِّين في بغداد وتخلى عن ولاءه للعُبيديِّين في مصر، وغير مذهب دولته الرسمي من المذهب الشيعي إلى السني، فحدثت بذلك القطيعة واستفحل العداء بين الزيريون والعبيديون الذين عمدوا للانتقام بشتى الطرق منها إرسال أعراب بني هلال وسُليم لاجتياح دولتهم في المغرب[2].

وفيما يخص علاقة الزيريِّين بأبناء عمومتهم الحمَّاديِّين فقد تراوحت بين السِّلم والحرب، ففي البداية كانت العلاقات جيدة وأخوية على اعتبار أنَّ الزيريِّين جعلوا الحمَّاديِّين ولاة على مدينة أشير تابعين لهم، ولكن عندما أسَّس حمَّاد بن بلكين قلعة بني حمَّاد سنة

1- يحي بوعزيز، **المرجع السَّابق**، ج1، ص146.

2- حسن خضيري أحمد، **علاقات الفاطميِّين في مصر بدول المغرب (362-567هـ/973-1171م)**، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.ت، ص27 وما بعدها.

398هـ/1008م وأعلن قيام دولة خاصة به حدثت حروب بينه وبين أبناء عمومته، وفي سنة 408هـ/1017م حدث الصلح بين حمَّاد والمعز بن باديس فعادت علاقة الود والأخوة بين الدَّولتين، وعلى العموم فقد بقيت علاقة السِّلم والموادعة بينهما ولكن الدَّولتين فشلتا في تشكيل جبهة واحدة في محاربة القبائل العربية[1].

عنوان المحاضرة: الدَّولة الحمَّاديَّة في المغرب الأوسط

– قيام الدَّولة:

ظهرت الدَّولة الحمَّاديَّة إلى الوجود أواخر القرن الرَّابع الهجري تحديدًا سنة 398هـ/1008م[2]، وكان مؤسِّسها "حمَّاد بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي" الذي إتخذ

1- عبد الحليم عويس: **دولة بني حمَّاد صفحة رائعة من التَّاريخ الجزائري**، دار الصحوة للنَّشر والتَّوزيع، القاهرة، دار الوفاء للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، المنصورة، 1991م، ط2، ص170 وما بعدها.

2- ابن خلدون: **العِبر وديوان المبتدأ والخبر في أيَّام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السُّلطان الأكبر**، منشورات مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، لبنان، 1391هـ-1971م، ج6، ص171 ؛ إسماعيل العربي: **دولة بني حمَّاد ملوك القلعة وبجاية**، الشركة الوطنيَّة للنَّشر والتَّوزيع، الجزائر، د. ت، ص 119.

من قلعة بني حمَّاد (قلعة أبي طويل)[1] التي تقع فوق سفح جبل تقربوست[2] بولاية المسيلة حاليًا عاصمةً لدولته النَّاشئة[3].

وقد شُيِّدت هذه القلعة على منحدر وعر فوق سفح جبل تقربوست على الحدود الشماليَّة لسهل الحضنة وعلى مسافة ستة وثلاثون كيلومتر من ولاية المسيلة وبالتَّحديد ببلدية المعاضيد دائرة أولاد دراج حاليًا، وغير بعيدة كثيرًا من ولاية برج بوعريريج ومدينة برج غدير التي سبقت بناء القلعة حيث ترجع إلى العهد الروماني[4]؛ ويحد القلعة شرقًا واد فرج الذي يجري من الشمال إلى الجنوب وعرف باسم وادي جراوة في العهد الحمَّادي، ويحدها غربًا قمة الغورين

1- أُسِّست مدينة قلعة بني حمَّاد على أنقاض قلعة تُعرف بقلعة أبي طويل. (انظر: مجهول: **الاستبصار في عجائب الأمصار، وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب**، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافيَّة العامَّة أفاق عربية، بغداد، د.ت، ص128 ؛ حساني مختار: **الحواضر والأمصار الإسلاميَّة الجزائريَّة**، دار الهدى للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، الجزائر، 2011م، ج1، ص129-130).

2- تقربوست معناها باللغة الأمازيغية السرج، وهذه التَّسميَّة هي التي حوَّلها العرب إلى جربيسة، وهذا الجبل الذي يحمل في كتب التَّاريخ أيضًا اسم جبل كيانة ويسمى في الوقت الحاضر جبل المعاضيد. (إسماعيل العربي، **المرجع السَّابق**، ص119 هامش2).

3- إسماعيل العربي، **المرجع السَّابق**، ص119 .

4- حساني مختار، **المرجع السَّابق**، ج1، ص129 .

الشَّاهقة (1190 متر) التي لا يفصل بينهما وبين جبل الرَّحمة سوى مضيق يمكن الدِّفاع عنه بسهولة، ومن الجنوب يحدها طريق كثير التَّعاريج يساير وادي فرج[1].

وفي مدة قصيرة بلغت حوالي عامين أتمَّ حمَّاد بن بلكين بناء القلعة، فلم يأت رأس السنة الرَّابعة للهجرة حتَّى كانت الشوارع مكتظة والمساجد زاخرة والفنادق عامرة حيث رحل إليها من الثغور والقاصيَّة والبلاد البعيدة أرباب الصِّناعة والتِّجارة وأهل العلم والطلبة، وظل حمَّاد بن بلكين يفتح الحصون والقرى ويضمُّها إلى ولايته[2].

وقد ذكر المؤرخون العديد من الأسباب التي جعلت حمَّاد بن بلكين يُشيِّد القلعة ويتخلى تدريجيًا على مدينة أشير التي جعلها أبناء عمومته الزيريِّين واليًا عليها بعد انتقالهم إلى عاصمة العُبيديِّين (الفاطميِّين) في بلاد المغرب المهديَّة، ومن أهم هذه الأسباب الموقع الإستراتيجي والعسكري للقلعة حيث شكلت حصنًا منيعًا للحمَّاديين عندما اشتدت بهم الخطوب، لأنَّ أشير التي كانوا يقيمون بها أصبحت غير صالحة نتيجة لقربها من مضارب قبائل زناتة التي كانت دائمًا تهدد ملكهم بالسقوط، كما أنَّ القلعة تتميز بالحصانة الطَّبيعيَّة لأنَّه لا

1- إسماعيل العربي، **المرجع السَّابق**، ص119 .

2- ابن خلدون، **العِبر**، ج6، ص171 ؛ محمَّد الطمَّار: **المغرب الأوسط في ظل صنهاجة**، ديوان المطبوعات الجامعيَّة، الجزائر، 2010م، ص92.

يوجد أي منفذٍ يصل إليها إلاَّ من جهة واحدة يمكن مراقبته بكل سهولة[1]، بالإضافة إلى سهولة مراقبة المدن التَّابعة لملك حمَّاد بن بلكين مثل قسنطينة، المسيلة، سوق حمزة، أشير، بسكرة وغيرها وهذا نتيجة وقوع القلعة وسط هذه المدن، كما أنَّ القلعة تقع في منطقة تتميز بكثرة تحركات القبائل الرحل الذين يقومون بالتَّنقل بين الواحات الصَّحراويَّة وبذلك يكون التَّحكم في تحركات هذه القبائل سهل[2].

وهناك سبب آخر يمكن إدراجه يكمن في رغبة حمَّاد بن بلكين في إقامة دولة مستقلة عن الدَّولة الزيريَّة في تونس وهذا عن طريق إنشاء مدينة جديدة يتخذها عاصمةً لدولته[3].

– نظام الحكم ونهاية الدولة:

اعتمد الحماديون كغيرهم على النظام الوراثي حيث كان الحكم في نسل حمَّاد بن بلكين، وفيما يخص الجانب المذهبي فقد كانوا في بداية الأمر على المذهب الشيعي في عهد حمَّاد، ولكن في عهد ولده القائد تخلى عن المذهب الشيعي وتحول للمذهب السني، كما تخلى عن الولاء للعبيديِّين في مصر وأعلن الولاء للعباسيِّين في بغداد. وتجدر الإشارة إلى أنَّ الدَّولة الحمَّادية عمرت حوالي قرن ونصف القرن، حيث كانت قلعة بني حمَّاد العاصمة الأولى لهم

1- حساني مختار، **المرجع السَّابق**، ج1، ص129 وما بعدها.

2- محمَّد الطمَّار، **المرجع السَّابق**، ص93 .

3- حساني مختار، **المرجع السَّابق**، ج1، ص130-131.

لأكثر من نصف قرن بالتَّقريب حولي ثلاثة وستون سنة وتعتبر مرحلة تأسيس للدَّولة، ثم انتقل الحمَّاديون إلى بجاية فكانت العاصمة الثانية لهم في حدود سنة 461هـ/1069م[1] وعمرت دولتهم حوالي قرن من الزمن، وتعتبر هذه المرحلة هي مرحلة التَّقدم والازدهار والرقي في جميع المجالات، وقد سقطت الدَّولة على يد الموحِّدين بقيادة أميرهم عبد المؤمن بن علي الكومي الذي استولى على عاصمتهم بجاية بعد عدَّة معارك عام 547هـ/1152م[2].

– أسباب انتقال الحمَّاديِّين من القلعة إلى بجاية:

اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ انتقال الحمَّاديين من القلعة إلى بجاية وعن سبب انتقالهم ومن قام ببناء بجاية، حيث يرى كل من الحموي وابن الأثير والذهبي بأنَّ الناصر بن علناس هو من قام ببنائها سنة 457هـ/1065م، وينفرد كلٌ من الحموي وابن الأثير بذكر سبب بناءها حيث يرجعه هذا الأخير إلى نصيحة محمَّد بن البَعْبَع رسول تميم بن المعز الزيري إلى الناصر بن علناس حيث أشار عليه ببناء بجاية والانتقال إليها لكي يقترب من إفريقية ويمتلك المهديَّة وغيرها من مدن أبناء عمومته الزيريِّين، في حين يرجعه الحموي إلى رغبة الناصر بن علناس في تحصيل الآمان للحمَّاديِّين من كيد أعدائهم ولكي تعم الفائدة بأن تزدهر

1- ابن خلدون، **العِبر**، ج6، ص174 .

2- ابن الأثير، **المصدر السَّابق**، مج9، ص372-373.

الصناعة في بجاية، بينما يرى ابن خلدون أنَّ بناءها كان سنة 460هـ/1068م وانتقال الناصر بن علناس إليها كان سنة 461هـ/1069م في حين يرى صاحب الاستبصار في عجائب الأمصار بأنَّ المنصور بن الناصر هو الذي بنا بجاية بعد وفاة والده الناصر سنة 481هـ/1088م حينما ضيقت أعراب بني هلال وبني سليم غيرهما على قلعة بني حمَّاد وهددتها بالسقوط وسماها المنصورية، ويذكر الحميري الرأيين معًا حيث نسب بناء بجاية سنة 457هـ/1065م إلى الناصر بن علناس الذي أطلق عليها اسم الناصرية، وذكر الرأي الآخر الذي ينسب فيه بناء بجاية إلى المنصور بن الناصر للتَّخلص من خطر أعراب بني هلال وبني سليم الذين هددوا القلعة بالسقوط وسماها المنصورية[1].

ونرى بأنَّ السبب الرئيسي في انتقال الناصر بن علناس من القلعة إلى بجاية هو التَّخلص من خطر الأعراب الذين هددوا القلعة بالسقوط، فعمل الناصر بنصيحة رسول تميم بن المعز محمَّد بن البَعْبَع وانتقل إلى بجاية المحصنة طبيعيًا من الأخطار الخارجية حيث يحيط بها البحر

1- **مُعجم البلدان**، مج1، ص339 ؛ **الكامل في التَّاريخ**، دار صادر، بيروت، مج10، ص46 وما بعدها ؛ الذهبي: **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق عمر عبد السَّلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1994م، ط1، مج30، ص289 ؛ **الاستبصار في عجائب الأمصار**، ص129 ؛ **الرَّوض المعطار**، ص81 ؛ **العِبر**، ج6، ص174.

والجبال من كل الجهات ما عدا الجهة الغربية التي يمكن تحصينها بوضع جميع قوات الجيش لرد العدوان عليها.

– العلاقات الخارجية:

لم يكن حكام الدَّولة الحمَّادية يشعرون بولاء كبير نحو الفاطميِّين، بل كانوا يحسون رفقة أبناء عمومتهم الزيريون أنَّهم وحدهم الحقيقيون بزعامة بلاد المغرب، وقد شهد أوَّل خروج رسمي علني ضدَّ زعامة الخلافة الفاطمية وكان بطل هذا الخروج هو حمَّاد بن بلكين سنة 398هـ/1008م، ولقد حرص الفاطميون على أن تعود بلاد المغرب إلى حظيرتهم فتراهم يسارعون عند أية بادرة إلى بذل الهدايا وتقديم الألقاب وقد حدث ذلك عدة مرات، ففي سنة 532هـ/1137م وصل مركب فاطمي رحل من الإسكندرية ببضائع عظيمة وهدية لصاحب بجاية يحي بن العزيز[1].

وعن علاقتهم بأبناء عمومتهم المرابطين فقد كانت سلمية وغير عدائية إلى حد بعيد وعاشتا الدَّولتين الحمَّادية والمرابطيَّة في أمن وسلام، حيث رضي كلا الطرفين على الحدود التي تملكها دولته، باستثناء محاولة الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين في بداية حكمه التَّوسع في المغرب الأوسط للتَّخلص من قبائل زناتة التي لجأت لهذه البلاد وكانت تهدِّد الدولة المرابطيَّة،

1- عبد الحليم عويس، **المرجع السَّابق**، ص167 وما بعدها.

وقد تصدى الحمَّاديون لأطماعه فتراجع الأمير يوسف عن طموحه، وشغل المرابطون أنفسهم بالجهاد في الأندلس، بينما تفرغ الحمَّاديون لمحاربة الأعراب في بلاد المغرب، وبذلك كان السِّلم والموادعة هي السِّمة التي غلبت على العلاقات بين الدَّولتين[1].

وفيما يخص علاقة الحمَّاديِّين بالأوروبيِّين (المسيحيِّين) فلم تظهر للعيان بشكل واضح وقوي إلَّا في النِّصف الثَّاني من القرن الخامس الهجري وحتَّى نهاية الدَّولة الحمَّاديَّة، وكانت على العموم طيبة مثالية، عكس علاقتهم بالدَّولة الزيريَّة التي كانت علاقة حرب وعداء. وقد أقام الناصر بن علناس علاقات ودية مع البابا جريجوري السَّابع ومدن الساحل الإيطالي، منحت للرعايا المسيحيِّين في المغرب الأوسط أمانًا كاملًا، وحصل الأسرى المسيحيِّين على حريتهم بأن اشتراهم الناصر وأرسلهم هدية للبابا، وقد رد هذا الأخير سنة 469هـ/1076م برسالة شكر وعرفان للناصر، وقد استمرت هذه العلاقات الودية بين الدَّولتين بعد الناصر.[2]

1- عبد الحليم عويس، **المرجع السَّابق**، ص179 وما بعدها.

2- إسماعيل العربي، **المرجع السَّابق**، ص176 وما بعدها ؛ عبد الحليم عويس، **المرجع السَّابق**، ص185 وما بعدها.

عنوان المحاضرة: الدَّولة المرابطيَّة في المغرب الإسلامي

– نشأة الدَّولة:

ينتسب المرابطون إلى قبيلة صنهاجة الصحراء وقد عرفوا أيضًا باسم الملثمين لارتدائهم اللثام في وجوههم، وقد قامت دولتهم على أساس دعوة دينية حيث بدأت بالظهور في أوائل القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) على يد رجال تحدوهم نزعة إصلاحية، أوَّل هؤلاء الرجال يحي بن إبراهيم الجدالي الذي أراد إصلاح شؤون قبائل صنهاجة الصحراء التي كان أهلها لا يعرفون من تعاليم الإسلام إلَّا الشيء القليل، فتجهز لأداء فريضة الحج سنة 427هـ/1036م وفي أثناء عودته منه لقي بالقيروان أبا عمران الفاسي شيخ المذهب المالكي فلزمه واستمع لدروسه وطلب منه أن يرسل إلى قومه تلميذًا يفقههم في الدِّين، فعرض الشَّيخ على تلاميذه الأمر فلم يقبل أحد منهم الذهاب معه لبُعد الدار ومشقة السفر والانقطاع عن الأهل في الصحراء، فحمَّله رسالة إلى تلميذ له في سجلماسة هو وجاج بن زلو اللَّمطي فانتدب له وجاج تلميذًا تقيًا من تلاميذه هو عبد الله بن ياسين الجزولي فارتحل هذا الأخير مع يحي بن إبراهيم الجدالي إلى مضارب قبائل صنهاجة الصحراء، وشرع في تعليم أهلها تعاليم الدِّين الإسلامي، وقد أنشأ لهذا الغرض رباطًا في مصب نهر السنغال، وعندما كثر أتباعه وبلغوا نحو ألف مريد شرع في غزو القبائل التي لم تذعن للإسلام بعد، وقد جعل من يحي بن إبراهيم

الجدالي أميرًا على المرابطين، وعندما توفي في حدود سنة 440هـ/1048م خلفه في زعامة المرابطين يحي بن عمر اللَّمتوني وعند وفاته سنة 447هـ/1055م خلفه على زعامة المرابطين أخوه أبو بكر عمر اللَّمتوني الذي توسعت في عهده دولة المرابطين إلى شمال المغرب الأقصى[1].

ولمَّا وقع الخلاف بين قبيلتي لمتونة وجدالة في الصحراء عاد أبو بكر ابن عمر إلى هناك سنة 453هـ/1061م لمحاولة الإصلاح بينهما[2]، وقبل عودته جعل ابن عمه الأمير يوسف بن تاشفين اللَّمتوني خليفة له في شمال المغرب، ولما عاد أبو بكر إلى الشمال وجد ابن عمه قد

1- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص119 وما بعدها ؛ ابن عذارى: **البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق إحسان عبَّاس، دار الثقافة، بيروت، 1418هـ/1998م، ط5، ج4، ص7 وما بعدها ؛ حسن أحمد محمود: **قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى**، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت، ص59 وما بعدها.

2- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص134 ؛ ابن خلدون، **العِبر**، ج6، ص184. (غير أنَّ ابن الخطيب يقول أنَّ ذهاب أبي بكر بن عمر إلى الصحراء حدث سنة 452هـ/1060م، بينما يذكر صاحب الحُلل الموشيَّة وابن عذارى أنَّه ذهب سنة 463هـ/1070م، وعاد إلى المغرب في العام الموالي حسب هذا الأخير. وأرى أنَّه من غير الممكن السفر بجيش ضخم إلى الصحراء وفكِّ الخصومات بين قبائل المرابطين في مدة سنة واحدة فقط، كما أنَّ معظم المصادر التَّاريخيَّة ذكرت بأنَّ يوسف بن تاشفين عندما تركه أبو بكر في المغرب استفحل ملكه وعظم شأنه وكثر جنده، وقام ببناء مرَّاكش وفتح أقطارًا كبيرةً من شمال المغرب فمن غير المعقول بأن يفعل كل ذلك في مدة عام واحدٍ فقط، لهذا أُرجِّح ما ذكره ابن أبي زرع وابن خلدون). (انظر: **تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط القسم الثَّالث من كتاب أعمال الأعلام**، تحقيق وتعليق أحمد مختار العبَّادي ومحمَّد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1964م، ص232 ؛ مجهول: **الحُلل الموشيَّة في ذكر الأخبار المُرَّاكشيَّة**، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرَّشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1399هـ/1979م، ط1، ص24-25 ؛ **البيان المغرب**، ج4، ص21 وما بعدها).

استأثر بالحكم فزهد فيه ورجع من جديد إلى الصحراء حيث قام بنشر الإسلام في بلاد الزنوج (السودان الغربي) إلى أن استشهد بها في إحدى غزواته بعد أن أصيب بسهم مسموم في شعبان سنة 480هـ/نوفمبر 1087م[1].

وقد قام الأمير يوسف بن تاشفين حينما كان ابن عمه الأمير أبو بكر بن عمر في الصحراء ببناء مدينة مراكش سنة 454هـ/1062م واتخذها عاصمةً لدولته الناشئة، وقد عظمت دولة المرابطين في عهده مع مرور الزمن وتمكن يوسف من الاستيلاء على كامل بلاد المغرب الأقصى، والجزء الغربي من المغرب الأوسط، وأجزاء كبيرة من بلاد السودان الغربي وبلاد الأندلس[2].

– نظام الحكم ونهاية الدَّولة:

حكم يوسف بن تاشفين حوالي نصف قرن من الزمن ويعتبر المؤسِّس الحقيقي لدولة المرابطين وأقوى أمراءها على الإطلاق، وقد لقب نفسه بأمير المسلمين وناصر الدِّين وأعلن

1- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص135-136 ؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص233 ؛ ابن خلدون، **العِبر**، ج6، ص184. (غير أنَّ ابن عذارى وصاحب الحُلل الموشيَّة يقولان أنَّ الأمير أبا بكر توفي سنة 468هـ/1075م، والأرجح ما أثبتناه في المتن). (انظر: **البيان المغرب**، ج4، ص26 ؛ **الحُلل الموشيَّة**، ص28).

2- ابن أبي زرع، **روض القرطاس**، ص136 .

الولاء للخلافة العباسية في بغداد[1]، واتبع المرابطين الحكم الوراثي حيث حكم بعد الأمير يوسف أولاده وأحفاده، وكان مذهب الدَّولة الرسمي هو المذهب السني المالكي الذي تعصب له المرابطين كثيرًا ونبذوا باقي المذاهب[2].

وبالنِّسبة لنهاية دولتهم فقد سقطت بصفة كاملة في بلاد المغرب والأندلس عام 541هـ/1147م علي يد الموحِّدين بقيادة الخليفة عبد المؤمن بن علي الكومي[3].

– العلاقات الخارجيَّة:

كانت علاقة المرابطين بالعباسيِّين في بغداد علاقة ولاء وتبعية، حيث انضمت دولة المرابطين إلى الخلافة العباسية منذ عهد الأمير أبي بكر بن عمر ويوسف بن تاشفين وقد أرسل الخليفة العباسي لهذا الأخير تقليدًا واعترف بشرعية حكمه، فتلقب بلقب أمير المسلمين وناصر

1- ابن الأثير، **الكامل في التَّاريخ**، مج9، ص99 ؛ ابن خلدون، **العِبر**، ج6، ص188 ؛ الطاهر المعموري: **الغزالي وعلماء المغرب**، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990م، ص9.

2- علي محمَّد الصَّلابي: **تاريخ دولتي المرابطين والموحِّدين في الشمال الأفريقي، القسم الأوَّل دولة المرابطين في الشمال الأفريقي**، دار المعرفة للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت، 2009م، ط3، ص234.

3- **الحُلل الموشيَّة**، ص137 وما بعدها.

الدِّين، وقد وضع المرابطون أسماء الخلفاء العباسيِّين في السِّكة، ودعوا لهم في المنابر، وبقيت العلاقات ودية حتَّى انقراض دولة المرابطين[1].

وعن علاقة دولة المرابطين بالممالك النَّصرانية في الأندلس فقد كانت علاقة عداء وحرب شديد مع جميع هذه الممالك قطالونية والبرتغال وخاصةً مملكتي قشتالة وأراغون اللَّتين دخلتا مع المرابطين في معارك وحروب كثيرة. وبدأ هذا العداء لما عبر المرابطون إلى الأندلس لنجدة دويلات الطَّوائف من الزحف الصَّليبي على أراضيهم، وانتصارهم المدوي على ملك قشتالة ألفونسو السَّادس في معركة الزَّلاقة الشهيرة سنة 479هـ/1086م بقيادة الأمير يوسف بن تاشفين، وقد استمرت علاقة العداء والحروب بينهما في عهد الأمير يوسف وولده علي، حيث قاد العديد من المعارك لرد عدوان النَّصارى على بلاد المسلمين وكان النصر تارةً للمرابطين وتارةً أخرى للممالك النَّصرانيَّة[2].

أما علاقتهم بالموحِّدين فقد كانت علاقة حرب وعداء أيضًا، فمنذ ظهور ابن تومرت على مسرح الأحداث في مطلع القرن السَّادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) والموحِّدين يحاربون المرابطين بالنَّشاط الدعوي والسِّلاح وخاضوا معهم معارك عديدة في المغرب والأندلس

1- حمدي عبد المنعم محمَّد حسين: **التَّاريخ السِّياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين**، دار المعرفة الجامعيَّة، مصر، 2008م، ص235 وما بعدها.

2- حمدي عبد المنعم محمَّد حسين، **المرجع السَّابق**، ص153 وما بعدها.

إلى أن تم القضاء على دولتهم بصفة نهائية بقيادة عبد المؤمن بن علي الكومي وهذا في سنة 541هـ/1147م[1].

عنوان المحاضرة: الدَّولة الموحِّديَّة في المغرب الإسلامي

– تأسيس الدَّولة:

ينتسب محمَّد بن عبد الله المعروف بابن تومرت المؤسِّس الفقهي للدَّولة الموحديَّة إلى قبيلة هزغة البربريَّة وهي إحدى بطون قبيلة مصمودة الكبيرة، ولد في أواخر القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) ادعى النَّسب إلى آل البيت عن طريق الأدارسة (بيت عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه) ولقَّب نفسه بالمهدي والإمام المعصوم ولكن المؤرخون والمحققون كشفوا كذب ادعاءاته، كان رجلًا فقيرًا اهتم بالعلم وتحصيله فارتحل سنة 500هـ/1106م إلى بلاد الأندلس ثمَّ إلى بلاد المشرق الإسلامي ودرس عند أكبر العلماء هناك، عاد إلى بلاد المغرب والتقى عبد المؤمن بن عليّ الكومي في قرية تاملالت (ملالة) في بجاية سنة 505هـ/1111م فقرَّبه إليه كثيرًا وجعله أكبر تلاميذه، وعاد معه إلى مراكش وشرع في تنظيم

1- **الحُلل الموشيَّة**، ص137 وما بعدها.

دعوته، حيث استقر في منطقة تينملل بالمغرب الأقصى وأظهر العداء الشديد لدولة المرابطين، وبنا رباطًا وكوَّن جماعة سماها الموحِّدون، وأقام تنظيمه على أساس هرمي قمته ابن تومرت المدعى للعصمة والمهداوية، ثمَّ تأتي جماعة أصحاب العشرة وهم أصحابه المقربين مثل عبد المؤمن بن علي الكومي، البشير الونشريسي، وأبو حفص عمر الهنتاني وغيرهم، ثمَّ تأتي جماعة الخمسين وتضم رؤساء القبائل وشيوخها الكبار وفي قاعدة الهرم تأتي جماعة السبعين. وبدأ ابن تومرت نشاطه الدعوي في منطقة السوس حيث قام بنشر نفوذه في المنطقة، وتسلط على النَّاس بأعمال قبيحة وملفقة وهيمن على فكرهم ومشاعرهم حتَّى استعبدهم، وشرع بعد ذلك في حرب المرابطين حيث خاض عدَّة معارك معهم أخطرها معركة البحيرة سنة 524هـ/1130م حيث زحف ابن تومرت وأتباعه على مراكش وفرض عليها الحصار أربعين يومًا ولكنه تعرض للهزيمة في آخر المطاف وقُتل بعض قادته الكبار وجرح هو جروحًا بليغةً توفي متأثرًا بها بعدها بأيام، وقد نجا في المعركة عبد المؤمن بن علي الكومي الذي بايعه الموحِّدون سرًا سنة 524هـ/1130م وعلنًا في سنة 526هـ/1132م[1].

1- البيذق: **أخبار المهدي بن تومرت**، تقديم وتحقيق وتعليق عبد الحميد حاجيات، المؤسَّسة الوطنيَّة للكتاب، الجزائر، 1986م، ط2، ص11 وما بعدها ؛ ابن أبي زرع، **المصدر السَّابق**، ص172 وما بعدها ؛ عبد المجيد النَّجار: **المهدي بن تومرت – حياته وآراؤه وثورته الفكريَّة والاجتماعيَّة وآثره بالمغرب**، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1983م، ط1، ص23 وما بعدها.

استمر عبد المؤمن في حرب المرابطين واستولى على مناطق كثيرة بالمغرب الأقصى وفرض الحصار على مراكش عدَّة شهور وفتحها سنة 541هـ/1147م وقتل آخر أمراء المرابطين إبراهيم بن تاشفين ووضع حدًا نهائيًا لدولة المرابطين بالمغرب[1]. وتمكن من القضاء على الدَّولة الحمَّاديَّة في المغرب الأوسط والتي استولى على عاصمتها بجاية بعد عدَّة معارك سنة 547هـ/1152م[2]، كما قضى على النورمان واستولى على ممتلكات الدَّولة الزيريَّة في المغرب الأدنى وعاصمتهم المهدية سنة 555هـ/1160م[3] وبذلك يستولي الموحِّدون على كافة بلاد المغرب الإسلامي. وتمكنوا أيضًا من الاستيلاء على مدن الأندلس تباعًا والقضاء على دولة المرابطين والأمراء المتغلبين على بعض المدن بها ابتداءً من سنة 541هـ/1147م[4].

– نظام الحكم والمذهب المتبع:

اتبع الموحِّدون النِّظام الوراثي حيث كان الحكم في نسل الخليفة عبد المؤمن بن علي الكومي، وبالنِّسبة لمذهبهم فقد كان خليط من المذاهب فقد أخذوا بعض عقائد المعتزلة،

1- **الحُلل الموشيَّة**، ص137 وما بعدها.

2- ابن الأثير، **المصدر السَّابق**، مج9، ص372-373.

3- يحي بوعزيز، **المرجع السَّابق**، ص146.

4- ابن الأبَّار، **الحُلَّة السِّيراء**، ج2، ص199 ؛ ابن عذارى: **البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحِّدين**، تحقيق محمَّد إبراهيم الكتاني، محمَّد بن تاويت، مطبعة النَّجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب،1985م، ط2، ج5، ص34-35 ؛ ابن خلدون، **العِبر**، ج6، ص312.

وأخذوا من المذهب الأشعري في مجال الصِّفات، وأخذوا أيضًا من المذهب الشيعي إدعاء العصمة والمهداوية والإمامة، واستخدموا السِّلاح للوصول إلى الحكم على طريقة الخوارج، ومنعوا القياس والاجتهاد وباقي أصول الفقه واكتفوا بالقرآن والسنة وإجماع الصحابة[1].

– النظام الإداري:

– الوزارة:

كان على قمة الإدارة المركزية وزير هو حلقة الوصل بين الخليفة ومختلف نظم الدولة التي تكونت من دواوين الكتابة والعسكرية والمالية. ولم يذكر الرواة أنَّ ابن تومرت اتخذ وزيرًا وإنَّما كان يختص "العشرة أهل الجماعة" بالمشورة في الأمور العظام. وقد بدأت مؤسسة الوزارة تتخذ مكانها بين نظم الدولة في خلافة عبد المؤمن، ولكن المعلومات عن أوليتها مضطربة ومتناقضة، ويذكر بعض المؤرخين أنَّ عبد المؤمن اتخذ وزيرًا قبل فتح مدينة مراكش، وأغلب الظن أنَّ أول وزير كان أبي جعفر أحمد بن عطية الذي استكتب أواخر عام 542هـ أو أوائل 543هـ/1148م. ومن الثابت أنَّ الخلفاء في دور الازدهار لم يتخذوا غير وزير واحد في وقت واحد، أمَّا في دور الانحلال فقد اتخذ يحي المعتصم والسعيد وزيرين، ولا يعرف الحال مع المأمون والمرتضى والواثق. ويبدو أنَّ اضطراب المعلومات عن الوزارة في دور الانحلال يعود إلى أنَّ

1- عبد المجيد النَّجار، **المرجع السَّابق**، ص131 وما بعدها.

المتنفذين كانوا غير واحد. كان الخليفة يختار وزيره إلَّا أنَّ موافقة أشياخ الموحِّدين كانت ضرورية إذ أنَّ الوزير كان ينقل أوامر الخليفة إلى الأشياخ وعليه فلا بد من ثقتهم فيمن يتقلده، وعزل عبد المؤمن وزيره عبد السَّلام الكومي وولَّى ابنه السيد أبا حفص الوزارة برأي أشياخ الموحِّدين[1].

– الكتابة:

أولى الموحِّدون منذ بداية دعوتهم أهمية للرسائل وكتابها، وعلى الرغم من أنَّ ابن تومرت كان يكتب رسائله بنفسه في بعض الأحيان فقد خصَّص أحد "العشرة أهل الجماعة" لكتابة الرسائل وهو أبو الربيع سليمان الحضرمي الذي توفي في معركة البحيرة. وكان يساعد أبا الربيع في الكتابة ملول بن إبراهيم بن يحي الصنهاجي وهو ممن آخى المهدي بينه وبين هرغة، ويوصف بالفصاحة والبداهة والعلم بالألسن وقد أقام بتينملل حتَّى توفي. أمَّا الخليفة عبد المؤمن فلا يعلم أنَّه استكتب ملولًا هذا، كما لا يعلم أنَّه اتخذ كاتبًا قبل الاستيلاء على مراكش، ويبدو أنَّه كان يبحث على كتاب لهم خبرة ودراية بالأعمال الإدارية فلما انتصر عمر الهنتاني على الماسي في أواخر سنة 542هـ/1148م وبحث عمن يكتب له إلى الخليفة ودلَّ على أبي جعفر أحمد بن عطية فكتب رسالة بليغة ما أن وقعت في يد عبد المؤمن حتَّى استقدمه

1- عز الدِّين عمر موسى: **الموحِّدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991م، ط1، ص153 وما بعدها.

فاستكتبه ثم استوزره وجمع له الكتابة والوزارة. ولقد كتب لعبد المؤمن عدة كتاب في وقت واحد فقد صحبه في إحدى غزواته ثلاث كتاب للرَّسائل. وكان أبو بكر محمَّد المرخي كاتبًا مع أبيه أبي الحكم المرخي ليوسف بن عبد المؤمن. لقد كان الكاتب الموحَّدي يقوم بكتابة نص البيعة للخليفة الجديد، وخلال البيعة العامة يقرأ الكاتب ذلك النص لكل مجموعة من المبايعين فيبايعوا على مقتضاه. ويكتب الكاتب الرسائل الرسمية والظهائر، ولم يكن الكاتب مطلق التصرف ولا بد من أن يطلع الخليفة على ما يكتب ولا تُنفذ الرسالة إلَّا إذا وضع الخليفة عليها علامته بخط يده وهي "الحمد لله وحده". وحتَّى في حالة الخلفاء الضعفاء لم يجد الكاتب فرصة للتنفذ والتسلط فقد كان يضع العلامة الغالبون على الخلفاء. وهذا لا يعني أنَّ خطة الكتابة كانت حقيرة أو قليلة الأهمية فلقد لعبت الرسائل دورًا كبيرًا عند الموحِّدين وكانت الرسائل وسيلة الدعاية الأساسية لعمال الدَّولة. وجل الرسائل التي وصلت كانت من هذا الضرب الدعائي، وقد حرص الخلفاء على تعميمها على جميع بلاد الموحِّدين. وكان كاتب الرسائل بطبيعة عمله وثيق الصلة بالخليفة ومقربًا منه مكرمًا لديه، وكان منصب كاتب الرسائل مرغوبًا فيه، ومن نقل من الكتابة إلى القضاء كان يندم على ما فاته ويندب حظه[1].

1- عز الدِّين عمر موسى، **المرجع السَّابق**، ص160 وما بعدها.

– البريد:

كان حامل البريد يسمى "رقاصًا" وكان الرقاص يكلّف بحمل جميع أنواع الرسائل مدنية أو عسكرية. وقد نظَّم البريد منذ فتح مرَّاكش على أسس معلومة فتكفلت الدَّولة بالدواب وعلفها وزاد الرقاصين لكيلا يكلف الرقاصون النَّاس مؤنة ذلك، وحددت المنازل التي ينزلونها والزمن الذي يستغرقونه في رحلاتهم، فكان الرقاص يسري الليل ويسير النهار، وكان البريد يقطع المسافة من المهدية إلى غرناطة في أربعين يومًا، ومن مرسية إلى مرَّاكش في ستة عشر يومًا "وهذا غاية السير". ومع هذا التنظيم المتقن لأعمال البريد لا يعلم أنَّ خليفة قد عيَّن صاحبًا للبريد، وربما كاتب الرسائل هو من كان يشرف على عمل البريد[1].

– الإدارة المالية:

كان الوزير مسؤولًا عن مالية الدَّولة في خلافة عبد المؤمن ويوسف ولا يعلم أنَّ أحدًا قد استقل بالإدارة المالية في الحضرة غير الوزير في عهد هذين الخليفتين، وفي عهد المنصور اتخذ صاحبًا لأشغاله، ولا يعلم خليفة لم يتخذ صاحبًا لأشغاله بعده، ولفظة صاحب الأشغال مصطلح موحدي لم يستعمل في نظم الدول التي سبقت الموحَّدين في المشرق أو المغرب أو

1- عز الدِّين عمر موسى، **المرجع السَّابق**، ص166.

الأندلس. ولا يطلق هذا المصطلح في أيام الموحّدين إلّا على الأعمال المالية في الحضرة. ولم يتولها غير شخص واحد في الوقت ذاته، ولا يكون متولي هذه الخطة إلّا من أشياخ الموحّدين، ولا يكون تعيينه إلّا من قبل الخليفة، ولا يذكر أنَّ أحدًا عينه شخص آخر إلّا ابن وين الخير الذي قلده الأشغال المخزنية الوزير أبو زكريا بن الغمر وزير الرشيد. وكان صاحب الأشغال يشرف على استخراج الأموال وجمعها وضبطها وصرفها، وكان مسؤولًا عن الأعمال المالية في الولايات ومحاسبة العمال بأمر من الخليفة، ولصاحب الأشغال كتّاب يقيدون المجابي ويضبطونها بالشهود ثمَّ يرفعها إلى الخليفة في خرائط فيختمها بخاتمه، وتدفع الأموال إلى أمين المخزن لحفظها. ويبدو أنَّ من تولوا هذه الخطة كانوا في غاية الأمانة الضبط، ومن أهل ثقة الخليفة الذي أقره أو عيَّنه، فلم يذكر أنَّ أحدًا من أصحاب الأشغال قد نكب سوى مرة واحدة[1].

– نهاية الدَّولة:

بلغت الدَّولة الموحّديَّة أوج عظمتها وقوتها في عهد الخليفة عبد المؤمن وولده يوسف وحفيده يعقوب المنصور، ومن صور قوتها مقارعتهم للنَّصارى الصَّليبيِّين في الأندلس، حيث قادوا معارك عديدة ضدهم وحقَّقوا في أغلبها انتصارات مدويَّة مثل معركة الأرك سنة

1- عز الدِّين عمر موسى، **المرجع السَّابق**، ص168-169.

591هـ/1195م بقيادة الخليفة يعقوب المنصور[1] وغيرها، وتعرض الموحّدون إلى بعض الهزائم القاسية من طرف النَّصارى منها على الخصوص معركة حصن العقاب سنة 609هـ/1212م والتي كانت سببًا في تراجع دولة الموحّدين وبداية النَّهاية في الأندلس والمغرب، حيث لم تقم لها قائمة بعدها واستمرت في الضعف الشديد إلى أن سقطت نهائيًا بسقوط عاصمتهم مراكش على يد المرينيِّين سنة 668هـ/1269م. وقد انقسم المغرب على إثر ذلك إلى ثلاث دول هي الحفصيَّة في المغرب الأدنى والزيانيَّة في المغرب الأوسط والمرينيَّة في المغرب الأقصى، واستولى بني نصر (بني الأحمر) على الأندلس[2].

– العلاقات الخارجية:

أشرنا في المحاضرة السابقة بأنَّ علاقة المرابطين بالموحّدين كانت علاقة حرب وعداء، ونفس العلاقة ربطت الموحّدين بالزيريِّين في إفريقية والحمَّاديِّين في المغرب الأوسط، فقد مرَّ ابن تومرت المؤسِّس الفقهي للدَّولة الموحّديَّة في حدود سنة 505هـ/1111م على مدينة بجاية الحمَّاديَّة، وأظهر سخطه من الأوضاع الدِّينيَّة والسِّياسيَّة والاجتماعية السائدة آنذاك. وتجلى العداء الشديد بين الموحّدين والدَّولتين الزيريَّة والحمَّادية في كون الموحّدين بقيادة عبد المؤمن بن

1- ابن أبي زرع، **المصدر السَّابق**، ص220 وما بعدها ؛ السَّلاوي، **المرجع السَّابق**، ج2، ص165 وما بعدها.

2- محمَّد عيسى الحريري: **تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني (610هـ/1213م)– (869هـ/1465م)**، دار القلم للنَّشر والتَّوزيع، الكويت، 1987م، ط2، ص31 وما بعدها.

علي الكومي هم من أسقطا هاتين الدَّولتين فقد سقطت الدَّولة الحمَّاديَّة في أيديهم سنة 547هـ/1152م، والدَّولة الزيريَّة سنة 555هـ/1160م[1].

وفيما يخص علاقة الموحِّدين بالممالك النَّصرانية في شمال الأندلس فقد كانت علاقة عداء وحروب مع جميع الممالك النَّصرانيَّة قشتالة وأراغون وليون والبرتغال وغيرها، وقد بدأ هذا العداء منذ استيلاء الموحِّدين على الأندلس في حدود سنة 541هـ/1147م، وحدثت بينهما معارك وحروب طاحنة كان فيها الانتصار للموحِّدين أحيانًا وللممالك النَّصرانية أحيانًا أخرى، مثل غزوة شنترين سنة 580هـ/1184م والذي استشهد فيها الخليفة الموحِّدي يوسف بن عبد المؤمن، ومعركة الأرك الشهيرة سنة 591هـ/1195م بقيادة يعقوب المنصور. ونشير إلى أنَّه تخللت علاقة العداء علاقة السِّلم والموادعة في بعض الأحيان والظروف بين الممالك النَّصرانيَّة والموحِّدين، فلمَّا اشتدت غزوات الموحِّدين على الممالك النَّصرانيَّة وحقَّقت انتصارات عديدة عليهم، سارع ملوكها وأمرائها لطلب الهدنة من الموحِّدين وقد حلت البعثات بإشبيلية في شهر ذي الحجة سنة 568هـ/جويلية 1173م على الخليفة يوسف بن عبد المؤمن من قبل حاكم طليطلة الكون نونيو ودي لارا، وألفونسو الثَّامن ملك قشتالة، وملك البرتغال ألفونسو هنريكيز لطلب الهدنة، وبعد مفاوضات استمرت شهرين كاملين تكللت بقبول الخليفة توقيع الهدنة مع

1- ابن الأثير، **المصدر السَّابق**، مج9، ص372-373 ؛ يحي بوعزيز، **المرجع السَّابق**، ص146.

هؤلاء الملوك[1]. كما سارع المغامر ورئيس العصابة التي عاثت في غرب الأندلس فسادًا واستولت على مدن المسلمين وممتلكاتهم "جيرالدو سمبافور" إلى طلب الهدنة مع الموحّدين أيضًا لأنَّه شعر بأنَّه فقد مكانته وأغلقت في وجهه فرص المغامرة وأنَّ الموحّدين سوف يتفرغون لقتاله، فسار في صحبة رجاله الثلاثمائة والخمسين إلى إشبيلية سنة 569هـ/1174م والتمس قبوله عبدًا وخادمًا للخليفة يوسف لكي يضمن قوت يومه فقبل الخليفة التماسه وأحسن إليه وأكرمه[2].

1- ابن صاحب الصلاة: **المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين (تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحّدين)**، تحقيق عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987م، ط2، ص436-437؛ ميراندا أمبروسيو هويثي: **التَّاريخ السِّياسي للإمبراطوريَّة الموحّديَّة**، ترجمة عبد الواحد أكمير، ط2، منشورات الزمن، المغرب، 2015م، ص262.

2- البيذق، **أخبار المهدي بن تومرت**، ص132 ؛ ابن عذارى، **البيان المغرب**، ج5، ص130 ؛ ميراند، **المرجع السَّابق**، ص262 ؛ عنان محمَّد عبد الله: **دولة الإسلام في الأندلس– عصر الموحّدين**، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، القاهرة، 2002م، ج5، ص90.

عنوان المحاضرة: الدَّولة الحفصيَّة في المغرب الأدنى

– تأسيس الدَّولة:

الحفصيون ينتمون إلى قبيلة هنتانة إحدى فروع قبيلة مصمودة البربريَّة، أسَّس الإمارة الحفصيَّة في المغرب الأدنى "أبو حفص عمر بن يحي الهنتاني" أحد رجال ابن تومرت العشرة الذين تمَّ اختيارهم لرئاسة هذه الإمارة التي بدأت بالظهور في الوقت الذي أخذ نجم الموحِّدين في الأفول. وكانت هذه الإمارة تابعة للدَّولة الموحِّديَّة ثمَّ أعلن أبو زكريا يحي الأوَّل الانفصال عن الموحِّدين لما شعر بضعف دولتهم، فاستبد بأعمال تونس والقيروان منذ عام 627هـ/1230م ولم يقنع بنفوذه في المغرب الأدنى فزحف على المغرب الأوسط عام 628هـ/1231م واستولى على قسنطينة وبجاية، كما استولى أيضًا على الجزائر والشلف عام 636هـ/1238م واستسلمت له تلمسان 640هـ/1242م وفرَّ منها حاكمها الزياني ياغمراسن، ومن بعد أبي زكريا سيطر الحفصيون على إمارة مليانة عام 659هـ/1261م وبدأت بذلك سيطرتهم على معظم المغربين الأدنى والأوسط، وعلا شأنهم وجاءتهم البيعة من كل جهة داخل إفريقيا وفي بعض أقاليم الأندلس مثل إمارة إشبيلية، ومن مكة نفسها

بالأراضي المقدسة عام 657هـ/1259م حتَّى أمراء بني مرين في مراكش بايعوهم لمدة قليلة ثمَّ نقضوها[1].

– نظام الحكم وسقوط الدَّولة:

اتخذ الحفصيون من النظام الوراثي قاعدة للحكم حيث اقتصر الحُكم على نسل أبو زكريا يحي الأوَّل دون غيره، وكان المذهب السني المالكي هو المذهب الرسمي للدَّولة. وعمرت دولتهم التي اتخذت من تونس عاصمةً لها حوالي ثلاثة قرون ونصف القرن إلى أن سقطت في يد الأتراك العثمانيِّين سنة 981هـ/1573م وكان مجال حكمهم المغرب الأدنى والجزء الشرقي من المغرب الأوسط (الجزائر حاليًا) حيث وصل نفوذه إلى غاية مدينة بجاية التي تعتبر الحد الفاصل بينها وبين الدَّولة الزيانيَّة[2].

– العلاقات الخارجية:

تراوحت علاقة الحفصيِّين بالزيانيِّين بين التبعية والاستقلال وبين السِّلم والحرب، ففي عهد الأمير الحفصي أبو زكريا يحي الأوَّل قام بنو زيان بمبايعته والدعوة له على منابرهم، ورغم

1- الزركشي: **تاريخ الدَّولتين الموحِّديَّة والحفصيَّة**، تحقيق وتعليق محمَّد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، 1966م، ط2، ص23 وما بعدها ؛ حسين مؤنس، **المرجع السَّابق**، ص229 وما بعدها ؛ يحي بوعزيز، **المرجع السَّابق**، ج1، ص201.

2- يحي بوعزيز، **المرجع السَّابق**، ج1، ص203.

الوحشة التي حصلت عندما حاول الأمير الزياني عثمان بن يغمراسن غزو بجاية إلَّا أنَّه سرعان ما عادت المياه إلى مجاريها، واستمر بنو زيان في تبعيتهم للحفصيِّين، وقد تدخل أمير بجاية الحفصي لمساعدة الزيانيِّين عندما غزا السلطان المريني يوسف بن يعقوب تلمسان عام 698هـ/1299م وخاض معهم معركة جبل الزاب أوقعت بها هزيمة كبيرة في معركة مرسى الرؤوس لكثرة ما تساقط خلالها من رؤوس العباد. ولما حاول سلطان تونس أبو عصيدة بن الواثق عقد اتفاق مع السلطان المريني لإسقاط عرش تلمسان، رد على ذلك الأمير عثمان بن يغمراسن بإسقاط الدعوة الحفصيَّة من منابر تلمسان وقطع حبل التبعية بهم وبذلك يبدأ دور الاستقلال عن الحفصيِّين والخضوع للمرينيِّين، وحينما بدأت مرحلة ضعف الدَّولتين الزيانية والمرينية عاد الحفصيون للتدخل في الشؤون الداخلية للدَّولة الزيانيَّة ومحاولة السيطرة عليها وضمها إلى دولتهم، وقد نظم الحفصيون حملة بجيش ضخم من خمسين ألف محارب تمكن خلالها من احتلال تلمسان عام 827هـ/1424م وعزل أميرها أبو مالك الزياني، وبعد مدة أعاده للحكم من جديد، وبقيت العلاقة متوترة بين الدَّولتين حيث استغل الحفصيون تناحر أمراء بني زيان وضعف دولتهم للتدخل في شؤونها[1].

1- يحي بوعزيز، **المرجع السَّابق**، ج1، ص223 وما بعدها.

مرت علاقة الحفصيِّين بالمرينيِّين بثلاثة مراحل أساسية وهي مرحلة تبعية المرينيِّين الاسمية لبني حفص، وكان الغرض من إعلان التبعية هو إضفاء لون من ألوان الشرعية على حركتهم واتجاههم لتصفية الموحِّدين بدون تدخل للحفصيِّين، كما حرصوا على إرضاء العامَّة في المغرب الأقصى وجذبهم لصفوفهم، تاليه المرحلة الثانية وهي مرحلة السيطرة المرينيَّة على الحفصيِّين وتمت بعد مساعدة المرينيِّين للحفصيِّين في مقارعة الزيانيِّين وكذلك علاقة المصاهرة التي حدثت بين الدَّولتين حيث اضطر الحفصيِّين لمصاهرة أبي الحسن المريني للمرة الثانية، وتجلت بوضوح هذه السيطرة المرينيَّة أثناء الاحتلال المريني لمعظم بلاد إفريقية خلال عهد السلطان أبي الحسن والسلطان أبي عنان، فتحولت العلاقات من الود والإخاء إلى علاقات عدائية، وتأتي المرحلة الثالثة وهي مرحلة عودة العلاقات الودية بين الدَّولتين والتي بدأت بعد حدوث الاضطراب في البيت المريني وظهور الصراع على العرش بعد وفاة السلطان أبي عنان سنة 759هـ/1375م واستمرت علاقة الود حتَّى نهاية الدَّولة المرينيَّة في بلاد المغرب[1].

تراوحت علاقة الحفصيِّين بالدول الأوروبية بين السِّلم والعداء. ولقد كان لاتساع نفوذ الحفصيِّين داخل إفريقيَّة وخارجها أثر كبير في فتح الطريق لربط العلاقات الطيبة بينهم وبين عدد من دول وممالك أوروبا مثل صقلية والإمبراطورية الألمانية، وقدموا للمسلمين في الأندلس

1- محمَّد عيسى الحريري، **تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني**، ص211 وما بعدها.

مساعدات كثيرة في مختلف المناسبات. وبالنِّسبة لعلاقة العداء فقد تجلت خصوصًا في مقاومة الحفصيِّين للحملة الصَّليبيَّة الثامنة التي قادها ملك فرنسا لويس التاسع عام 669هـ/1270م والذي انهزم في معركة المنصورة في مصر فحاول أن يغسل عارها في ميدان آخر ولم يجد أصلح من بلاد المغرب ولكنه في هذه المرة كلفه أهلها حياته كلها وهزيمة لقواته الصَّليبيَّة. كما قام الحفصيون أيضًا بفضل أساطيلهم الضخمة في تونس وبجاية وغيرها برد العدوان الأوروبي واقتحام مراكز القراصنة في موانئ أوروبا نفسها كإسبانيا والبندقية وجينوة وصقلية[1].

1- روبار برنشفيك: **تاريخ إفريقيَّة في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م**، نقله إلى العربية حمَّادي السَّاحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م، ط1، ج1، ص56 وما بعدها ؛ يحي بوعزيز، **المرجع السَّابق**، ج1، ص202.

عنوان المحاضرة: الدَّولة الزيانيَّة في المغرب الأوسط

– قيام الدَّولة:

ينتسب بني عبد الواد أو الزيانيون[1] إلى قبيلة زناتة البربريَّة التي استقرت منذ أزمنة طويلة بالمنطقة الغربية من المغرب الأوسط (الجزائر حاليًا) وقد بدأ بني عبد الواد في البروز في مسرح الأحداث التَّاريخيَّة في بلاد المغرب في سنة 627هـ/1230م حينما بدأ نجم الدَّولة الموحِّديَّة في الانهيار، حيث ظهر جابر بن يوسف بن محمَّد كزعيم لبني عبد الواد وقام بالتَّصدي ليحي بن غانية الميورقي حينما هاجم مدينة تلمسان وانتصر عليه وشتت شمله، فأعجب به الخليفة الموحِّدي المأمون وكتب له البيعة على تلمسان وسائر قبائل زناتة تكريمًا له، فاضطلع بالأمر وكان ذلك بداية لقيام دولة بني عبد الواد التي تسلم قيادتها الأمير الشاب يغمراسن بن زيان سنة 633هـ/1236م بعهدٍ من الخليفة الموحِّدي الرشيد، وقد تميز يغمراسن بقوة العزيمة وحصافة الرأي وسداد التَّدبير، فاضطلع بالأمر في عزم وقوة وأخضع إلى سلطته كل الذين كانوا قد خرجوا عن طاعة أخيه أبي عزه زكرار بن زيان وأحسن السيرة في النَّاس تدبيرًا وسياسةً، واعتنى بتنظيم قواته العسكريَّة وتوفير الأسلحة والذخيرة لها حتَّى تستطيع القيام بواجبها الدِّفاعي

1– كانت هذه الدَّولة في بداية عهدها يطلق عليها اسم دولة بني عبد الواد، ثمَّ لما تولى أمرها السلطان أبو حمو موسى الأخير عام 760هـ/1359م وأحياها بعد اندثارها وأطلق عليها اسم الدَّولة الزيانيَّة. (يحي بوعزيز، **المرجع السَّابق**، ج1، ص220).

على البلاد. واستحدث مجلسًا وزاريًا وكتبةً ليساعدوه على تسيِّير شؤون الإمارة، واتخذ لنفسه مظاهر الملك وألغي سيطرة الموحِّدين الفعلية ولم يبق لهم سوى عادة الدَّعوة للخليفة على المنابر أيام الجمع والأعياد[1].

– نظام الحكم وسقوط الدَّولة:

عمرت الدَّولة الزيانيَّة أكثر من ثلاثة قرون، وحكمت الجزء الغربي من المغرب الأوسط واتخذت من تلمسان عاصمةً لها، واتبعت النظام الوراثي حيث كان الحكم في نسل يغمراسن بن زيان. وكانت حياتها كلها صراعًا مستميتًا وطويلًا ضدَّ قوى متصارعة متطاحنة عليها، فالدَّولة المرينيَّة من الغرب والدَّولة الحفصيَّة من الشرق تسعيان لمحاولة السيطرة عليها وإزالتها من الوجود، وفي أواخر عمرها تعرضت للعدوان الإسباني على سواحلها، ثمَّ تدخل الأتراك العثمانيِّين في النَّهاية الذين عزلوا آخر أمرائها عن الحُكم "الحسن بن عبد الله الزياني" وبذلك تندثر دولة بني عبد الواد من الوجود سنة 961هـ/1554م[2].

1- بسام كامل عبد الرزاق شقدان، **المرجع السَّابق**، ص53 ؛ يحي بوعزيز، **المرجع السَّابق**، ج1، ص220 وما بعدها.

2- يحي بوعزيز، **المرجع السَّابق**، ج1، ص220.

– العلاقات الخارجيَّة:

كانت العلاقة بين الزيانيِّين والمرينيِّين في المغرب الأوسط عدائية، لم تشهد طيلة قيام الدَّولة المرينيَّة في بلاد المغرب سوى فترات قليلة جدًا من السَّلام، وفي أغلب الأحوال كان ذلك السَّلام مفروضًا على بني زيان فإن ما واتتهم الفرصة لنقضه سارعوا إلى ذلك وعادوا بالعلاقات إلى جو العداء، وقد بدأ العداء قبل قيام الدَّولة المرينيَّة سنة 668هـ/1269م إثر تحالف الزيانيِّين مع الموحِّدين ضدَّ المرينيِّين. واستفحل الصراع بين الدَّولتين سنة 669هـ/1270م عندما حاصر المرينيون تلمسان وألحقوا أضرار بالغة بنواحيها، ثمَّ عادت الدَّولتين للصلح ولكن سرعان ما تمَّ نقضه لما تحالف الزيانيون مع بني الأحمر في الأندلس ضدَّ المرينيِّين. كما تفاقم العداء أكثر فأكثر بين الدَّولتين في سنة 737هـ/1336م حينما قام السلطان أبو الحسن المريني بغزو شامل للمغرب الأوسط وتمكن من احتلال تلمسان وقتل السلطان أبي تاشفين وتلاشت دولتهم وأصبح المغرب الأوسط إقليمًا من أقاليم الدَّولة المرينيَّة، ثمَّ أعاد الزيانيون إحياء دولتهم سنة 749هـ/1348م باستيلائهم على تلمسان بعد مبايعتهم لعثمان بن عبد الرَّحمان بن يحي بن يغمراسن، واستمر بعد ذلك الوضع على حاله حيث استمر العداء بين الدَّولتين

ولكن تتخله فترات من السِّلم والموادعة، وبعد وفاة السلطان المريني أبي عنان ظل الزيانيون على أعدائهم لبني مرين حتَّى سقوط الدَّولة الزيانيَّة[1].

أمَّا علاقة الزيانيِّين ببني نصر في الأندلس فقد كانت علاقة حسنة، وتوثقت العلاقة بينهما في جميع المجالات من سياسية وعسكرية واجتماعية وثقافية واقتصادية، ففي الجانب السِّياسي شهدت العلاقة جوانب متعددة منها لجوء الدَّولة الزيانية إلى إبعاد المعارضين لها إلى الأندلس، ودعم بنو الأحمر للسلطان أبا حمو موسى الثاني سياسيًا وعسكريًا، وبالمقابل دعم الزيانيون أيضًا بني الأحمر في حروبهم ضدَّ النَّصارى الصَّليبيِّين وكانت المساعدة على شكل أحمال من الذهب والفضة والخيل المسومة والمراكب المشحونة بالزرع، كما سمحت للأفراد على شكل جماعات الذهاب إلى الأندلس بدافع الجهاد في سبيل الله، وتوثقت أيضًا العلاقة بتبادل الهدايا والتهاني بين زعماء الدَّولتين، وباستقبال الدَّولة الزيانية سكان الأندلس المهاجرين في مدن وسواحل المغرب الأوسط، منهم من اشتغل مناصب مهمة في الدَّولة كالوزارة والحجابة وخاصةً في عهد السلطان أبي حمو موسى الأوَّل، ومنهم العلماء الذين تولوا مهام التَّدريس في مساجد ومدارس تلمسان وغيرها من المدن الزيانية، وتوثقت أيضًا العلاقة الاقتصادية بين الدَّولتين فكانت الدَّولة الزيانية تمد المساعدة للمسلمين في الأندلس عند تعرضهم لبلاء أو

1- محمَّد عيسى الحريري: **تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني**، ص216 وما بعدها.

مجاعة وتمدهم بالمال والغذاء، ففي سنة 763هـ/1362م قدمت الدَّولة الزيانية لأهل الأندلس ما مقداره خمسين ألف قدح من الزرع وثلاثة آلاف دينار من الذهب[1].

أمَّا علاقة الزيانيِّين بدولة المماليك في مصر فقد كانت طيبة، فلم يمنع البعد الجغرافي بين مصر وتلمسان من قيام علاقات تنوعت بين الجانب السِّياسي والثقافي والاقتصادي ورابطة الحج على اعتبار أنَّمصر تقع على طريق حج المغاربة، وقد تبادل السلاطين الزيانيون والمماليك الرسائل والهدايا، فقد تبادل السلطان الزياني أبو تاشفين عبد الرَّحمان الأوَّل الرسائل مع السلطان المملوكي الناصر سنة 725هـ/1325م، وبعث السلطان أبو زيان سنة 799هـ/1397م إلى السلطان المملوكي برقوق ثلاثون رأسًا من الخيول العتاق، وذلك لما تمتاز به من الشدة والسرعة الصبر على المصاعب. كما قصد طلبة العلم التِّلمسانيِّين القاهرة لزيادة معارفهم العلمية، وهناك من عاد إلى وطنه وهناك من بقي في مصر للتَّدريس، حتَّى أنَّ بعضهم تقلد مناصب في الدَّولة المملوكية. وفي الجانب الاقتصادي تبادلت الدَّولتين السلع عن طريق موانئ هُنين وشرشال والجزائر وموانئ مصر وخاصةً الإسكندرية[2].

1- بسام كامل عبد الرزاق شقدان، **المرجع السَّابق**، ص120 وما بعدها.

2- بسام كامل عبد الرزاق شقدان، **المرجع السَّابق**، ص124-125.

عنوان المحاضرة: الدَّولة المرينيَّة في المغرب الأقصى

– نشأة الدَّولة:

بنو مرين يعودون بأصلهم إلى قبيلة زناتة البربريَّة وكانوا يسكنون المنطقة الجنوبيَّة من تلمسان، وقد وقف بنو مرين إلى جانب الموحِّدين في بداية الأمر وحكموا باسمهم ثمَّ لما ضعف أمر الإمارة الموحِّديَّة انتفضوا عليها، وأثاروا عدَّة فتن وحروب وشنوا عددًا من الغارات على أطرافها، واقتحموا تلال مراكش عام 610هـ/1213م وانتشر نفوذهم بفضل الأمير أبي يحي بن عبد الحق الذي احتل مدينتي فاس ومكناس واتخذهما مركزًا لنشاطهم حتَّى تمكن أميرهم أبو يوسف بن عبد الحق من احتلال مراكش عام 668هـ/1269م فانتهى بذلك عهد الموحِّدين وبرزت إمارة بني مرين وتلقب يوسف بأمير المؤمنين[1].

– نظام الحكم وسقوط الدَّولة:

اتخذ المرينيون من فاس عاصمةً لدولتهم، واتبعوا كغيرهم من حكام بلاد المغرب النظام الوراثي، إذ كان يشترط في السلطان أن يكون منتميًا إلى البيت المريني الحاكم، وكثيرًا ما كان السلطان الجديد ابنًا أو حفيدًا أو أخًا للسلطان المتوفي، واستعاد المذهب السني المالكي مكانته التي كان عليها قبل ظهور دولة الموحِّدين، وكان سلاطين بني مرين أنفسهم يهتمون بفهم هذا

1- يحي بوعزيز، **المرجع السَّابق**، ج1، ص206.

المذهب. وكان مجال دولتهم الجغرافي يشمل كامل بلاد المغرب الأقصى واتسع أحيانًا وشمل أجزاءً من بلاد المغرب الأوسط، وتقلص أحيانًا أخرى إثر الحروب بينهم وبين جيرانهم الزيانيِّين والحفصيِّين، وقد عمَّرت الدَّولة المرينيَّة زهاء مائتي عام إلى أن سقطت على يد الوطاسيِّين سنة 869هـ/1465م[1].

– العلاقات الخارجيَّة:

يمكن وصف العلاقات بين المرينيِّين وبني الأحمر بأنَّها كانت علاقات يشوبها الحذر والترقب ومرجع ذلك إلى تشكك سلاطين بني الأحمر كثيرًا في نوايا بني مرين وتطلعاتهم في بلاد الأندلس ولذلك كان يغلب على هذه العلاقات التذبذب بين الود المتبادل أو العداء والنفرة في بعض الأحيان. وقد ساعد المرينيون بنو الأحمر في الأندلس لصد النَّصارى خلال اجتياحهم لأراضي المسلمين الباقية في الأندلس مرات عديدة، ولكن حدثت خلافات بين الدَّولتين، لأنَّ بني الأحمر بقوا دائمًا يتوجسون خيفةً من أطماع بني مرين في الأندلس[2].

وبالنِّسبة لعلاقة المرينيِّين بالممالك النَّصرانيَّة قشتالة وأراغون في شمال الأندلس فقد كانت عدائية، وهذا العداء نابع من أنَّ المرينيِّين وبني الأحمر تزعما حركة المقاومة ضدَّ حركة الاسترداد

1- محمَّد عيسى الحريري، **تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني**، ص181 وما بعدها.

2- محمَّد عيسى الحريري، **تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني**، ص227 وما بعدها.

المسيحي بعد سقوط الموحِّدين. وقد خاض المرينيون العديد من المعارك ضدَّ مملكتي قشتالة وأراغون استنفذوا خلالها الكثير من طاقتهم العسكريَّة، ولكنهم استفادوا كثيرًا خصوصًا من الغنائم التي دعمت ثروة دولتهم، علاوة على ذلك أكسبتهم حركة المقاومة هذه مكانة مرموقة في بلاد المغرب وسائر العالم الإسلامي، وكثيرًا ما تخلل ذلك العداء بين المرينيِّين والممالك النَّصرانيَّة في الأندلس فترات من السِّلم حكمتها معاهدات أبرمت بين الطرفين وفي كثير من الأحيان كان بنو الأحمر يمثلون طرفًا ثالثًا في هذه المعاهدات والتي كان بعضها تنص على حرية التجول والمتاجرة بأرض الفريق الآخر[1].

1- محمَّد عيسى الحريري، **تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني**، ص238 وما بعدها.

خاتمة

من خلال دراستنا لموضوع التَّاريخ السِّياسي للمغرب في العصر الإسلامي الوسيط نختم دراستنا بتسجيل الملاحظات التالية:

– الفاتحين المسلمين جاءوا لبلاد المغرب لأجل نشر الدِّين الإسلامي، ولم يكن مجيئهم التماسًا للغنائم كما يزعم المستشرقين ومن يرى رأيهم من المؤرخين.

– ساهم البربر في عملية الفتح الإسلامي لبلاد المغرب حيث دخلت أعداد كثيرة منهم في الإسلام وخاصةً في عهد الفاتح أبو المهاجر دينار الذي عاملهم معاملة حسنة، والفاتح حسان بن النعمان الذي انضمت إليه جموع كثيرة منهم بعد قضاءه على الكاهنة.

– تميز عصر الولاة في بلاد المغرب بالصراع المذهبي والعرقي، وبإتباع بعض الولاة سياسة القسوة والظلم ضدَّ الرعية، مع وجود فترات من السِّلم والرخاء لتميز بعض الولاة بالعدل.

– ظهور الحركات الخارجية في بلاد المغرب في عصر الولاة، والتي تمكن زعماءها بعد نشاط دعوي وحربي كبير من تأسيس دولتين، إحداهما صفرية المذهب وهي الدَّولة المدراريَّة في المغرب الأقصى وأخرى إباضية المذهب وهي الدَّولة الرستميَّة في المغرب الأوسط.

– توحدت بلاد المغرب تحت سلطة واحدة في عصر الولاة، ثمَّ انقسمت إلى أربع دول رئيسية المدراريَّة والرستميَّة والإدريسيَّة والأغلبيَّة، وتوحدت من جديد في أواخر القرن الثالث للهجرة في

زمن الدَّولة العُبيديَّة، ثمَّ انقسمت من جديد إلى ثلاثة دول وهي الزيريَّة والحمَّاديَّة والمرابطيَّة، ثمَّ توحد المغرب من جديد مع دولة الموحَّدين في منتصف القرن السَّادس للهجرة، ثمَّ انقسمت البلاد إلى أربع دول رئيسيَّة الحفصيَّة والزيانيَّة والمرينيَّة في المغرب بالإضافة إلى دولة بني الأحمر في الأندلس.

– نشأت دول عديدة في بلاد المغرب بعضها موالي للخلافة العباسيَّة في المشرق مثل دولتي الأغالبة والمرابطين، وبعضها معادي لها مثل الدَّولتين الإدريسَّة والعُبيديَّة (الفاطميَّة).

– عرفت بلاد المغرب العديد من الأحداث التاريخيَّة والسِّياسيَّة البارزة والتي كان لها تأثيرًا بالغًا على على هذه البلاد في جميع الجوانب السِّياسيَّة والدِّينيَّة والاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والثقافيَّة مثل ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد المشهور بصاحب الحمار على العُبيديِّين (الفاطميِّين) سنة (332-336هـ/944-948م)، انتقال الفاطميِّين إلى مصر سنة 362هـ/973م وترك الزيريِّين حكامًا على بلاد المغرب، تخلي الزيريِّين والحمَّاديِّين على المذهب الشيعي وتحولهم للمذهب السني وولائهم للعباسيِّين بدلًا من العُبيدِّيِّين في حدود سنة 440هـ/1048م، وزحف القبائل العربية الهلالية على بلاد المغرب للانتقام من حكامها بإيعاز من الفاطميِّين في مصر في حدود سنة 442هـ/1050م، تغيير الحمَّاديِّين لعاصمة دولتهم من القلعة إلى بجاية سنة 461هـ/1069م، إنشاء الرِّباط من قبل الفقيه عبد الله بن ياسين وقيام دولة المرابطين،

ظهور دعوة ابن تومرت في بلاد المغرب وصراعه مع المرابطين، تعرض سواحل بلاد المغرب للغزو النورماندي واحتلال المهدية عاصمة الزيريِّين عام 543هـ/1148م، سقوط دولة الموحِّدين وانقسام بلاد المغرب إلى ثلاث كيانات سياسية الدولة الحفصية في المغرب الأدنى، الدولة الزيانية في المغرب الأوسط، الدولة المرينية في المغرب الأقصى، وغيرها من الأحداث.

- تحكم العامل السِّياسي بين دول المغرب الإسلامي بشكل كبير في نوعية علاقاتها فيما بينها، فحينما تكون العلاقات السِّياسيَّة جيدة، تنعكس بالإيجاب على العلاقات التجارية والثقافية وتصبح قوية ووثيقة، والعكس صحيح.

- دول المغرب الأوسط والمتمثلة في الدَّولة الرستميَّة، الحمَّادية، الزيانيَّة لم يكن الموقع الجغرافي في صالحها لأنَّها تتوسط بلاد المغرب، فوقعت بذلك بين المطرقة والسندان، فتعرضت لحروب كثيرة من جيرانها في الجهة الشرقية والغربية، خاصةً الدَّولة الزيانية التي عاشت مهدَّدة باستمرار من الدولة الحفصية في المغرب الأدنى من جهة، ومن الدَّولة المرينية في المغرب الأقصى من جهة أخرى.

- كانت بلاد المغرب الإسلامي ميدان صراع للقوى الكبرى في العالم الإسلامي، وتتمثل هذه القوى في الخلافة العباسية والخلافة الأمويَّة والخلافة العُبيدية (الفاطمية) فحاولت كل هذه القوى الاستيلاء على بلاد المغرب أو أن تصبح دولها تحت سيطرتها ونفوذها.

المصادر والمراجع

– القرآن الكريم

– المصادر التَّاريخيَّة: (كتب التَّاريخ العام – كتب الفرق والمذاهب)

– ابن الأبَّار، أبو عبد الله محمَّد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت 658هـ/1260م): **الحُلَّة السِّيراء**، حقَّقه وعلَّق حواشيه حسين مؤنس، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1985م.

– ابن الأثير، عز الدِّين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمَّد بن محمَّد بن عبد الكريم الشيباني (ت630هـ/1232م): **الكامل في التَّاريخ**، دار صادر للطِّباعة والنَّشر، بيروت، مج10، 1966م.

– ـــــــــــ: **الكامل في التَّاريخ**، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، ط1، دار الكتب العلميَّة، بيروت، مج2، مج3، 1987م.

– ـــــــــــ: **الكامل في التَّاريخ**، راجعه وصحَّحه محمَّد يوسف الدَّقاق، ط4، دار الكتب العلميَّة، بيروت، مج4، مج5، مج6، مج8، مج9، 1987م.

– البيذق، أبو بكر بن علي الصَّنهاجي (توفي أواخر القرن السَّادس الهجري): **أخبار المهدي بن تومرت**، تقديم وتحقيق وتعليق عبد الحميد حاجيات، ط2، المؤسَّسة الوطنيَّة للكتاب، الجزائر، 1986م.

– ابن الخطيب، لسان الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن عبد الله بن أحمد السليماني (ت776هـ/1374م): **تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط القسم الثَّالث من كتاب**

أعمال الأعلام، تحقيق وتعليق أحمد مختار العبَّادي ومحمَّد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1964م.

- ابن خلدون، عبد الرَّحمان بن محمَّد (ت808هـ/1406م): **تاريخ ابن خلدون** المسمى **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت، ج4، 2000م.

- ــــــــــ: العِبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ج6، 1971م.

- الدبَّاغ، عبد الرحمان بن محمد الأنصاري (ت696هـ/1296م): **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، أكمله وعلَّق عليه أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن تاجي التنوخي، تصحيح وتعليق إبراهيم شبُّوح، ط1، مكتبة الخانجي، مطبعة السنة المحمديَّة، مصر، ج1، 1968م.

- الذَّهبي، شمس الدِّين أبي عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ/1348م): **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق عمر عبد السَّلام تدمري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، مج30، 1994م.

- الرَّقيق القيرواني، أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم (ت بعد سنة 425هـ/ 1033م): **قطعة من تاريخ إفريقية والمغرب**، تحقيق عبد الله العلي الزيدان، عز الدِّين عمر موسى، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م.

- ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن عبد الله (ت 726هـ/1325م): **الأنيس المُطرِب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصورة للطِّباعة والوراقة، الرباط، 1972م.

- الزركشي، أبو عبد الله محمَّد بن إبراهيم: **تاريخ الدَّولتين الموحِّديَّة والحفصيَّة**، تحقيق وتعليق محمَّد ماضور، ط2، المكتبة العتيقة، تونس، 1966م.

- الشهرستاني، أبي الفتح محمَّد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (ت 548هـ/1153م): **المِلَلُ والنِّحَلُ**، تحقيق أمير علي مهنا، علي حسن فاهود، ط2، دار المعرفة، بيروت، ج1، 1993م.

- ابن صاحب الصلاة، عبد الملك (ت 594هـ/1198م): **المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين (تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحِّدين)**، تحقيق عبد الهادي التازي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987م.

- الطبري، أبي جعفر محمَّد بن جرير (ت 310هـ/922م): **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق محمَّد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف، مصر، ج4، د.ت.

- ابن عبد الحكم، عبد الرَّحمان بن عبد الله (ت257هـ/871م): **فُتُوح مصر والمغرب**، تحقيق عبد المنعم عامر، شركة الأمل للطِّباعة والنَّشر، مصر، ج1، د.ت.

- ابن عذارى المراكشي (كان حيًا سنة 712هـ/1312م): **البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق ومراجعة ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، ط3، دار الثقافة، بيروت، ج1، 1983م.

- ـــــــــــ: **البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق إحسان عبَّاس، ط5، دار الثقافة، بيروت، ج4، 1418هـ/1998م.

- ـــــــــــ: **البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب،قسم الموحِّدين**،تحقيق محمَّد إبراهيم الكتاني،ط2، محمَّد بن تاويت،مطبعة النَّجاح الجديدة،الدار البيضاء،المغرب،ج5،1985م.

-المالكي، أبي بكر عبد الله بن محمَّد (توفي بعد سنة 460هـ/1068م): **رياض النُّفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونسَّاكهم وسيرٌ من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم**، حقَّقه بشير البكوش، راجعه محمَّد العروسي المطوي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج1، 1994م.

- مجهول (لمؤلف أندلسي من أهل القرن الثَّامن الهجري): **الحُلل الموشيَّة في ذكر الأخبار المُرَّاكشيَّة**،تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة،ط1،دار الرَّشاد الحديثة،الدار البيضاء، 1979م.

- مجهول (عاش في القرن الثَّامن الهجري): **مفاخر البربر**، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، ط1، دار أبي رقراق للطِّباعة والنَّشر، الرباط، 2005م.

- المُرَّاكشي، عبد الواحد بن علي (ت 647هـ/1249م): **المُعجب في تلخيص أخبار المغرب**، وضع حواشيه خليل عمران المنصور، ط1، منشورات محمَّد علي بيضون، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 1998م.

- ابن وردان: **تاريخ مملكة الأغالبة**، دراسة وتقديم وتحقيق وتعليق محمَّد زينهم محمَّد عزب، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1988م.

- المصادر الجغرافيَّة:

- الإدريسي، أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني (ت 560هـ/ 1064م): **القارَّة الإفريقيَّة وجزيرة الأندلس، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**، تحقيق وتقديم وتعليق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعيَّة، الجزائر، 1983م.

- الحموي، شهاب الدِّين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرُّومي البغدادي (ت626هـ/1828م): **مُعجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1399هـ/1979م.

- الحِميري، أبو عبد الله محمَّد بن عبد المنعم (توفي في منتصف القرن الثَّامن الهجري): **الرَّوضُ المعطار في خبر الأقطار**، حقَّقه إحسان عبَّاس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975م.

- ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت300هـ/912م): **المسالك والممالك**، وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه محمَّد مخزوم، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1988م.

- الزُّهري، أبو عبد الله محمَّد بن أبي بكر (توفي في أواسط القرن السَّادس الهجري): كتاب **الجغرافيَّة**، تحقيق محمَّد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدِّينيَّة، مصر، د.ت.

- مجهول (لمؤلف مرَّاكشي من أهل القرن السَّادس الهجري): **الاستبصار في عجائب الأمصار، وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب**، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافيَّة العامَّة أفاق عربية، بغداد، د.ت.

المراجع باللغة العربية:

- أحمد محمود حسن: **قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى**، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت.

- إسماعيل عبد الرزاق محمود: **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري**، ط2، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1985م.

- إسماعيل محمود: **الأدارسة (172–375هـ) حقائق جديدة**، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991م.

- بوعزيز يحي: **الموجز في تاريخ الجزائر، الجزائر القديمة والوسيطة**، ديوان المطبوعات الجامعيَّة، الجزائر، ج1، 2007م.

- التَّازي عبد الهادي: **التَّاريخ الدِّيبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، الدَّولة الإدريسيَّة**، مطابع فضالة، المحمدية، مج4، 1987م.

- الثعالبي عبد العزيز: **تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدَّولة الأغلبية**، جمع وتحقيق أحمد بن ميلاد، محمَّد إدريس، تقديم ومراجعة حمَّادي السَّاحلي،، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م.

- الجيلالي عبد الرَّحمان بن محمَّد: **تاريخ الجزائر العام**، ط4، دار الثقافة، بيروت، ج1، 1980م.

- الحريري محمَّد عيسى: **الدَّولة الرستميَّة بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقاتها الخارجية بالمغرب والأندلس (160–296هـ)**، ط3، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1987م.

- ــــــــــــ: **تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني (610هـ/1213م)-(869هـ/1465م)**، ط2، دار القلم للنَّشر والتَّوزيع، الكويت، 1987م.

- حساني مختار: **الحواضر والأمصار الإسلاميَّة الجزائريَّة**، دار الهدى للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، الجزائر، ج1، 2011م.

- حُسني الخربوطلي علي: **أبو عبد الله الشيعي مؤسِّس الدَّولة الفاطمية**، المطبعة الفنية الحديثة، 1972م.

- حمدي عبد المنعم محمَّد حسين: **التَّاريخ السِّياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عصر المرابطين**، دار المعرفة الجامعيَّة، مصر، 2008م.

- خضيري أحمد حسن: **علاقات الفاطميِّين في مصر بدول المغرب (362-567هـ/973-1171م)**، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.ت.

- عبد الرؤوف الفقي عصام الدِّين:**تاريخ المغرب والأندلس**،مكتبة نهضة الشرق،القاهرة، د.ت.

- زيتون محمَّد محمَّد: **المسلمون في المغرب والأندلس**، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، مصر، 1990م.

- سالم السيد عبد العزيز: **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**، مؤسَّسة شباب الجامعة، الإسكندريَّة، 2008م.

- سعدون عبَّاس نصر الله: **دولة الأدارسة في المغرب العصر الذهبي 172-223هـ/788-835م**، ط1، دار النَّهضة العربية للطِّباعة والنَّشر، بيروت، 1987م.

- السلاوي، أحمد بن خالد النَّاصري: **الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى**، تحقيق وتعليق جعفر النَّاصري، محمَّد النَّاصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ج1، 1954م.

- الصَّلابي محمَّد علي: **تاريخ دولتي المرابطين والموحِّدين في الشمال الأفريقي، القسم الأوَّل دولة المرابطين في الشمال الأفريقي**، ط3، دار المعرفة للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت، 2009م.

- الطمَّار محمَّد: **المغرب الأوسط في ظل صنهاجة**، ديوان المطبوعات الجامعيَّة، الجزائر، 2010م.

- العربي إسماعيل: **دولة بني حمَّاد ملوك القلعة وبجاية**، الشركة الوطنيَّة للنَّشر والتَّوزيع، الجزائر، د.ت.

- عمر موسى عز الدِّين: **الموحِّدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1991م.

- عنان محمَّد عبد الله: **دولة الإسلام في الأندلس– عصر الموحِّدين**، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، القاهرة، ج5، 2002م.

- عويس عبد الحليم: **دولة بني حمَّاد صفحة رائعة من التَّاريخ الجزائري**، ط2، دار الصحوة للنَّشر والتَّوزيع، القاهرة، دار الوفاء للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، المنصورة، 1991م.

- بن قربة صالح وآخرون: **تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر**، منشورات المركز الوطني للدِّراسات والبحث في الحركة الوطنيَّة وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2007م.

- لقبال موسى: **المغرب الإسلامي**، ط2، الشركة الوطنيَّة للنَّشر والتَّوزيع، الجزائر، 1981م.

- مؤنس حسين: **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، دار الرشاد، القاهرة، 2004م.

- محمَّد جمال الدِّين عبد الله: **الدَّولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر إلى نهاية القرن الرابع الهجري مع عناية خاصة بالجيش**، دار الثقافة والنَّشر والتَّوزيع، القاهرة، 1991م.

- مصطفى مسعد سامية: **العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأمويَّة (300–399هـ/912–1008م)** ط1، **عين للدِّراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية**، 2000م.

- المعموري الطاهر: **الغزالي وعلماء المغرب**، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسَّسة الوطنيَّة للكتاب، الجزائر، 1990م.

- النَّجار عبد المجيد: **المهدي بن تومرت – حياته وآراؤه وثورته الفكريَّة والاجتماعيَّة وآثره بالمغرب**، ط1، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1983م.

المراجع المُعربة:

- برنشفيك روبار: **تاريخ إفريقيَّة في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م**، نقله إلى العربية حمَّادي السَّاحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج1، 1988م.

- روجي إدريس الهادي: **الدَّولة الصَّنهاجيَّة تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م**، ط1، نقله إلى العربيَّة حمَّادي السَّاحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج1، 1992م.

- ميراندا أمبروسيو هويثي: **التَّاريخ السِّياسي للإمبراطوريَّة الموحِّديَّة**، ترجمة عبد الواحد أكمير، ط2، منشورات الزمن، المغرب، 2015م.

الرسائل الجامعيَّة:

- بسام كامل عبد الرزاق شقدان: **تلمسان في العهد الزياني 633-962هـ/1235-1555م**، رسالة ماجستير في التَّاريخ، جامعة النَّجاح الوطنيَّة كلية الدِّراسات العليا، قسم التَّاريخ، نابلس، فلسطين، 2002م.

محتويات البحث

الإهداء

مقدمة.....1

الفتح الإسلامي لبلاد المغرب.....4

عصر الولاة في بلاد المغرب الإسلامي.....32

الدَّولة المدراريَّة في المغرب الأقصى.....35

الدَّولة الرستميَّة في المغرب الأوسط.....43

الدَّولة الإدريسيَّة في المغرب الأقصى.....51

الدَّولة الأغلبيَّة في المغرب الأدنى.....63

الدَّولة العُبيديَّة (الفاطميَّة) في المغرب الإسلامي.....67

الدَّولة الزيريَّة في المغرب الإسلامي.....73

الدَّولة الحمَّاديَّة في المغرب الأوسط.....77

الدَّولة المرابطيَّة في المغرب الإسلامي.....85

الدَّولة الموحِّديَّة في المغرب الإسلامي.....90

الدَّولة الحفصيَّة في المغرب الأدنى.....101

الدَّولة الزيانيَّة في المغرب الأوسط.....106

الدَّولة المرينيَّة في المغرب الأقصى.....111

خاتمة.....114

المصادر والمراجع.....118

محتويات البحث.....130